

نشأة وتطور علم نفس النمو

يبدو الطفل عند الميلاد كائناً حياً ضعيفاً لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، ومع ذلك فإن هذا الكائن الصغير يملك بين جوانحه استعدادات هائلة وإمكانات عظيمة تؤهله فيما بعد لكي يدرك ويتكلم، يقرأ ويتعلم، يحاكي ويتألق في إعادة تشكيل عالمه الذي يعيش فيه. فالطفل يولد وهو مزود بنظام محكم وبناء دقيق له خصائصه ووظائفه المحددة من قبل ، وعبر مرحلة العمر الطويلة يعمل هذا النظام على تشكيل وتطوير وتعديل هذه الاستعدادات بما يتفق ونوع البيئة التي يعيش فيها على أن الإنسان يستعرض على مدى الحياة للعديد من التغيرات المتتالية والمتلاحقة التي تسرع أحياناً وتبطئ أحياناً أخرى ،

فخلال السنوات الأولى من العمر تبدأ العديد من الملامح الجسمية والمهارات الحركية والقدرات العقلية في التفتق والظهور لكي تأخذ في التبلور والتشكل وإتمام النضج في نهاية مرحلة المراهقة . وبدخول المراهق مرحلة الرشد تأخذ هذه التغيرات جميعاً يعباً مظهر الاستقرار والثبات لتعود بعد ذلك إلى التدهور والاضمحلال مع التقدم في العمر .

والسؤال الآن : ما هي العوامل والمحددات التي تقف وراء مثل هذه التغيرات المختلفة التي تطرأ على الإنسان طوال حياته ؟ وهل يولد الإنسان وهو مزود باستعدادات أولية فطرية تكون باعثة لهذا التغيير ومحركه له ؟ وإذا كانت الإجابة بنعم فما هي هذه الاستعدادات ؟ وكيف تكون الحالة الأولية التي يولد بها الطفل والخاصة بهذه الاستعدادات؟ وهل جوهر التغيير عند الإنسان يكون بفعل هذه الاستعدادات. فقط ، أم أن البيئة التي ينتقل إليها ويعيش فيها تحمل معها جزءاً من هذا التغيير ؟ وإذا كانت البيئة تساهم في إحداث قدر من التغيير في سلوك الإنسان عبر العمر ، فما هو نوع هذه البيئة ... هل هي بيئة فيزيقية أم بيئة اجتماعية أم بيئة ثقافية وحضارية أم أنها كل هذه البيئات مجتمعة معاً ؟

وعلى الرغم من اتفاق معظم الباحثين على أن الاستعدادات الوراثية التي يولد بها الطفل والمؤثرات البيئية التي يتعرض لها تمثل المصدرين الرئيسيين وراء التغيرات التي تطرأ عليه طوال مرحلة الحياة ، غير أن السؤال الذي لا يزال يثير الجدل هو : كيف وبأي طريقة يمكن للعوامل الوراثية والبيئية أن تحدث هذا التغيير؟ هل يتكافأ أثر الوراثة والبيئة على كل مظاهر السلوك عند الفرد ؟ أم أن هناك أنواعاً من السلوك تتأثر بدرجة أكبر بالعوامل الوراثية على حين تتأثر مظاهر أخرى من السلوك بالعوامل البيئية بنسبة أعلى ... كل هذه الأسئلة وغيرها سوف تحاول أن تجيب عليها عبر الفصول القادمة من هذا الكتاب، ونبدأ هذا الفصل بفكرة موجزة عن موضوع علم النفس الارتقائي : أهميته ، وعلاقة علم النفس الارتقائي بفروع علم النفس الأخرى، ونبذة تاريخية بسيطة عن نشأة هذا العلم وتطوره، إلى جانب بعض المفاهيم الرئيسية التي تساعدنا على فهم موضوعات علم النفس الارتقائي وأهم مناهج وأساليب البحث فيه ، ثم نختم هذا الفصل بعرض سريع لأهم مبادئ النمو والارتقاء..

تعريف علم النمو -الارتقائي- : يعرف علم النفس الارتقائي بأنه أحد فروع علم النفس الأساسية التي تهتم بدراسة التغيير الذي يطرأ على سلوك الإنسان عبر مراحل العمر المختلفة ، وذلك منذ اللحظة الحمل وحتى لحظة الوفاة، ولا يهتم علم النفس الارتقائي فحسب بوصف التغيرات التي تطرأ على السلوك والمصاحبة للعمر ، لكنه يتعدى ذلك المحاولة تفسير هذا التغيير عن طريق اكتشاف القوانين والمبادئ والنظريات المفسرة للجوانب السلوكية ويفيد هذا التفسير في الكشف عما إذا كانت هذه التغيرات فردية أم عامة بين الأفراد، وهل تختلف باختلاف العوامل الثقافية والاجتماعية للفرد، وكيف تساهم عوامل النضج البيولوجي في تفسير هذا التغيير .

وعلى الرغم من تعدد النظريات الخاصة في علم النفس الارتقالي ، غير أن هناك موضوعات مشتركة تختتم بمناقشتها هذه النظريات.. من هذه الموضوعات مثلاً ما هو جوهر الارتقاء؟ وهل الارتقاء كمي أم كيفي؟ وهل الارتقاء متصل أم غير متصل؟ وكيف تساهم عوامل الوراثة والبيئة في تشكيل عملية النمو والارتقاء؟

أهمية دراسة علم النفس الارتقالي في حياتنا العامة:

تحظى دراسة علم النفس الارتقالي بأهمية كبرى، ليس للدارسين والباحثين في علم النفس فحسب، ولكنها تتعدى إلى المربين من آباء وأمّهات ومعلمين ممن يكون لهم مسئولية كبرى في تربية وتنشئة الأبناء، كذلك تفيد دراسة سيكولوجية النمو القارئ العادي في فهم طبيعة وخصائص مرحلة النمو التي يعيشها ، ونوع التغيرات الخاصة التي تطرأ عليه في هذه المرحلة ، وكيف يستطيع أن يتوافق ويتكيف مع هذه التغيرات. وسوف تحاول أن توجز فيما يلي أهمية دراسة علم النفس الارتقالي.

من الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها الباحثون في علم النفس الارتقالي الوصول إلى ما يسمى بمعايير النمو ، وتعرف معايير النمو بأنها متوسطات أعمار الأطفال الذين يستطيعون القيام بمهارة معينة في وقت معين ، وتغطي معايير النمو جميع مظاهر النمو الجسمية والحركية والعقلية .

وتفيد معرفتنا بمعايير النمر عند الأطفال في الكشف عن معدلات النمو عند الطفل ومدى اختلافه عن أقرانه ، وكذلك معرفة أنواع الشذوذ أو الإعاقات التي تطرأ على النمو حتى يمكن تقديم العلاج المناسب في وقت مبكر.

-تفيد معرفتنا بمبادئ وقوانين النمو في علم النفس الارتقالي في فهم وتفسير كثير من مظاهر السلوك لدى أبنائنا ، فمعرفتنا بقانون تشابه وتفرد نمط الارتقاء يساعدنا في اختبار أفضل أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتناسب مع طبيعة أبنائنا. فعلى الرغم من التشابه الذي تلاحظه بين الأخوة في الأسرة الواحدة ، إلا أن كل طفل يختلف عن الآخر من حيث استعداداته وقدراته ومعرفة الآباء والأمهات لهذه الحقيقة تساعدهم على تنمية هذه الاستعدادات عند أبنائهم وعدم عقد مقارنات بين الأخوة بعضهم والبعض الآخر، بل معاملة كل طفل بما يتفق واستعداداته وميوله وقدراته.

يهتم علم النفس الارتقالي بدراسة وتفسير كثير من الظواهر النمائية المعرفة أسباب حدوثها حتى يمكن التحكم فيها ، فمثلاً معرفتنا بأن نمو الطفل لا يبدأ منذ الميلاد بل يبدأ منذ لحظة الاخصاب يفيد الأم كثيراً في الاهتمام بصحتها أثناء فترة الحمل بحيث تحرص على الابتعاد عن أي مصادر للقلق أو التوتر أو الإصابة بأي أمراض معدية ، مع العناية بنوع الغذاء الذي تتناوله ، وذلك لكي تضمن لطفلها نمواً جسدياً وعقلياً سليماً بعد الميلاد وتجعله بمأمن من حدوث أي تشوهات خلقية يمكن أن تحدث له فيما بعد....

- تفيد دراسة علم النفس الارتقالي في فهم كثير من التغيرات التي تطرأ على السلوك عبر مراحل العمر المختلفة. فمثلاً تفيد دراسة النمو عند المراهقين والمراهقات في تفسير كثير من التغيرات الفسيولوجية المصاحبة لهذه الفترة وعلاقتها بالتغيرات الجسمية والعقلية والانفعالية ، كما تساعد المراهق وتوجهه في كيفية تحقيق التوافق والتكيف مع هذه التغيرات، وكيف يمكنه أن يوازن بين أهدافه وميوله ورغباته وبين ما يفرضه عليه المجتمع من تقاليد وعادات

علاقة علم نفس النمو بالفروع الأخرى من علم النفس:

تنقسم فروع الدراسة في علم النفس بوجه عام إلى مجموعتين رئيسيتين هما : مجموعة الفروع الأساسية Basic Science مثل علم النفس العام ، علم النفس الفسيولوجي ، علم النفس الاجتماعي، علم النفس الارتقائي ، علم النفس (المعرف) ، ومجموعة الفروع التطبيقية (مثل علم النفس الإكلينيكي، علم النفس الصناعي، علم النفس التربوي، علم النفس الجنائي .. الخ) ، وتشترك الفروع الأساسية جميعاً في أنها تهتم بدراسة السلوك الإنساني دراسة علمية وذلك بغرض الوصول إلى نظريات خاصة. بتفسير نوع السلوك المراد دراسته. أما مجموعة الفروع التطبيقية في علم النفس فهي الهدف إلى الانتقال بالقوانين والنظريات التي توصلت لها الفروع الأساسية إلى مجال التطبيق العملي بحيث يمكن الاستفادة منها في الميادين العلمية الحديثة ويندرج علم النفس الارتقائي ضمن الفروع الأساسية في علم النفس ، حيث يهدف - كما سبق أن ذكرنا - إلى دراسة التغيرات التي تطرأ على السلوك غير العمر. وعلم النفس الارتقائي يتفق مع سائر الفروع الأساسية في علم النفس في أنه يهدف إلى دراسة السلوك ، ولكن من زاوية معينة هي التغير عبر العمر ، كما يتفق مع هذه الفروع من حيث الهدف، حيث يسعى إلى الوصول إلى نظريات خاصة بتفسير ظاهرة النمو الإنسان.

أما عن علاقة علم النفس الارتقائي بالفروع التطبيقية فهي كثيرة ومتعددة . ومن أكثر الفروع التطبيقية في علم النفس التي يمكن الامتداد إليها بقوانين ونظريات النمو هي علم النفس الإكلينيكي ، فالباحث في علم النفس الإكلينيكي يهتم أساساً بدراسة السلوك غير السوي أي السلوك المرضى.

وتمثل إعاقات النمو أحد الفروع الحديثة في علم النفس الإكلينيكي ، حيث يهتم الباحث في هذا النوع بكيفية الاستفادة من المبادئ والقوانين والنظريات الخاصة في علم النفس الارتقائي لتطبيقها في المجال الإكلينيكي الخاص بفحص وعلاج الحالات الخاصة بإعاقات النمو عند الطفل.

بعض المفاهيم الرئيسية في علم نفس النمو:

على الرغم من تعدد المصطلحات الخاصة في علم نفس النمو إلا انه بإمكاننا يمكن استعراض أربعة مفاهيم رئيسية تشكل اللبنة الأساسية التي تقوم عليها الدراسة في هذا التخصص:

أ - النمو: يعرف النمو بأنه تلك التغيرات الكمية التي تطرأ على الكائن الحي عبر العمر والتي يمكن قياسها بصورة كمية فجسم الطفل مثلاً يطرأ عليه الكثير من التغيرات الكمية مثل الزيادة في الوزن والطول...زيادة حجم العظام زيادة وزن المخ... الخ

وتتسم هذه التغيرات الكمية بأنها إضافات أكثر منها تحولات.

ب - الارتقاء : يعرف الارتقاء بأنه سلسلة متتابعة من التغيرات الكيفية التي يتجه فيها الكائن الحي نحو مزيد من التقدم وتتصف هذه التغيرات بأنها تغيرات منتظمة ومتتابعة وذات هدف محدد.

ويعني ذلك إن الفروق الجوهرية بين مفهوم النمو والارتقاء تكمن في نوع التغيرات التي تطرأ على الكائن الحي عبر العمر مثلاً: مراحل الارتقاء التي يمر فيها النبات تبدأ أولاً بظهور الجذور ثم الساق ثم الأوراق ثم الزهور وأخيراً الثمار، ويشير ذلك إلى تغيرات كيفية تطرأ على النبات ، حيث تنبثق أجزاء جديدة لم تكن موجودة من قبل ومع ذلك التغير الكيفي في نمو النبات لا يلغي حدوث التغير الكمي والذي يتمثل في حدوث زيادة كمية عبر الوقت تتمثل في كبر حجم الجذور، الساق، الأوراق.

ومن الأمثلة التي توضح الفرق بين النمو والارتقاء هو التغير الذي يطرأ على الذاكرة أو اللغة عبر العمر فإذا سألنا أنفسنا هل التغير الذي يطرأ للذاكرة عبر العمر كمي ام كيفي؟ فإن الإجابة التي تطرأ على الذهن مباشرة هي إن الذاكرة يحدث لها تغير كمي حيث أن عدد الأشياء التي يستطيع الطفل تذكرها يزداد عبر العمر، فمثلاً يمكن للطفل الذي يبلغ من العمر أربع سنوات أن يتذكر قائمة تتكون من أربع كلمات في حين يمكن لطفل في السابعة من العمر تذكر قائمة مكونة من سبع كلمات هذا التغير في سعة الذاكرة عبر العمر يمكن أن يفسر على انه تغير كمي في حين يرى البعض أن التغير الذي يطرأ على الذاكرة يمكن أن يكون كيفياً، حيث يستخدم طفل السابعة من العمر استراتيجيات خاصة في في التذكر مثل التنظيم والتبويب وهي غير متاحة لطفل الرابعة من العمر، كذلك الحال بالنسبة للغة ، حيث تزداد محصلة الطفل اللغوية كميًا مع التقدم في العمر ومع ذلك لا نستطيع إنكار حدوث الكثير من التغيرات الكيفية التي تطرأ على السلوك اللغوي للطفل، والذي يبدأ في شكل مناغاة ثم يتحول إلى النطق بكلمة واحدة ثم النطق بكلمتين ثم جملة بسيطة ثم جملة معقدة.... الخ

وبصفة عامة يمكن القول إن الإنسان يتعرض طوال حياته لكلا النوعين من التغير كما هو الحال بالنسبة لباقي الكائنات الحية الأخرى ،فهو ينمو ويرتقي في أن واحد ويعني ذلك أن كلا من النمو والارتقاء يتشابهان في أنهما يكشفان عن مظاهر التغير التي تطرأ على السلوك عبر العمر فبينما يشير النمو إلى التغيرات الكمية في السلوك يشير الارتقاء إلى التغيرات الكيفية.

ج - النضج: يشير مفهوم النضج إلى تفتح الاستعدادات البيولوجية والوراثية للطفل في سن معينة أو في فترة زمنية محددة ،وتعرف عمليات النضج بأنها مجموع الإمكانيات الوراثية والمكونات الأولية التي يرثها الطفل من الوالدين، من ثم فهي تمثل المحدد الأول لكل الخصائص البدنية والعقلية وسمات الشخصية التي تكون الفرد فيما بعد.

وتحتل عملية النضج مكانة خاصة في علم نفس النمو ،حيث يفترض انه بمقتضاها يتم التحكم في ارتقاء جوانب معينة من السلوك، أو بعبارة أخرى فان النضج من شأنها أن تحدث تغيرات في عمل أجهزة الجسم والتي تؤثر بدورها على ظهور أنواع معينة من السلوك، حتى دون تنبيه أو تدريب سابق.

مثلاً:كشفت بعض الدراسات الحديثة التي أجريت على الأطفال الرضع إن منحنيات المناغاة عند الأطفال الرضع الصم تكون شبيهة ومماثلة لمنحنيات الأطفال الأسوياء، حتى الشهر السادس من العمر، وذلك على الرغم من عدم تعرض الأطفال الصم لأي منبهات لفظية أو الاستماع لأي أحاديث تساعدهم على المناغاة.

وتساهم عملية النضج إلى حد كبير في إحداث الكثير من التغيرات التي تطرأ على سلوك الفرد عبر العمر ، هذا ومع اعتقادنا بأهمية عوامل النضج في تشكيل سلوك الفرد، غير انه من المغالاة تصور مسؤوليتها عن كل التغيرات التي تطرأ على الفرد عبر العمر، وأنها لا تنأثر بعوامل البيئة الخارجية التي تحيط بالطفل.

د – التعلم: يشير مفهوم التعلم إلى التغير الذي يطرأ على السلوك بفعل عوامل الخبرة أو التدريب ، ويعرفه آخرون بأنه أي تغير نسبي يحدث في أداء أو سلوك الفرد تحت شرط التكرار والممارسة لإشباع دوافع الفرد.

وبوجه عام تشير عملية التعلم إلى ارتقاء السلوك من خلال التدريب ، فمن خلال التعلم يكتسب الأطفال القدرة على الاستفادة من كل ما هو موروث بحيث يمكن استخدامه بدرجة عالية من الكفاءة ، ويعني ذلك إن كلا من النضج والتعلم وجهان لعملة واحدة، حيث يفسران لنا الأسباب التي تقف وراء التغير الذي يطرأ على السلوك عبر العمر، فإذا تحدثنا عن أسباب ومحددات بيولوجية وراثية كنا أمام مفهوم النضج، وإذا تحدثنا عن أسباب ومحددات بيئية كن بصدد مفهوم التعلم.

وتتعدد الأساليب التي كتسببها الطفل مهاراته المختلفة فقد يتعلم من خلال التقليد حيث يقوم الطفل بتقليد من هم حوله التدريب حيث يقوم احد المدربين الأكفاء بتعليم الطفل مهارة معينة حسب قواعد ونظم ثابتة.

تاريخ علم نفس النمو

يتسم علم النفس الارتقائي بماضيه الطويل وتاريخه القصير فمنذ عام 1600-1900 كانت هناك كتابات الفلاسفة ومفكرين مثل جون لوك John Locke الإنجليزي الأصل الذي أكد أهمية الخبرة والتعلم كمحدد أساسي للنمو.

يصف لوك عملية الارتقاء بأنها عملية مرنة تعتمد في المقام الأول على التعلم ، وبالتالي فإن كل ما يصدر عن الراشد من تصرفات وكل ما يتسم به من خصائص ما هو إلا نتاج الخبرة . وبما أن الخبرات التي يكتسبها الفرد تعتمد على الطريقة التي يتفاعل بها الطفل مع الوالدين ، فإن نوعية الارتقاء وخصائصه تعتمد في مجموعها على الأسرة التي ينشأ فيها الطفل وعلى المجتمع الذي ينتهي إليه ، وعلى العكس فإن الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو Join Jacques Rousseau يرى أن عملية الارتقاء في المقام الأول هي عملية طبيعية لا تعتمد على التأثير المباشر للوالدين بقدر ما تعتمد على الخصائص الوراثية التي يرثها الطفل من والديه. ومن الطريف أن الخلاف بين وجهي نظر جون لوك وروسو لا تزال قائمة حتى الآن بين النظريات الجديدة في علم النفس الارتقائي.

وفي القرن التاسع عشر ظهر شارلز دارون Charles Darwin الذي قدم نظريته المعروفة في النشوء والارتقاء، ويمثل شارلز دارون حلقة وصل بين فلاسفة القرن السابع والثامن عشر، وبين المنظرين في علم النفس الارتقائي في القرن العشرين، وعلى الرغم من أن كتابات دارون عن الأطفال ساهمت في نشأة وبزوغ علم النفس الارتقائي، غير أن إسهامه الحقيقي يبرز في تقديمه النظرية النشوء والارتقاء ، إذ تفترض هذه النظرية أن جميع الكائنات الحية - بما فيها الإنسان - نشأت من أشكال أدن منها، ومن ثم يرى دارون أن ارتقاء الطفل يتم من خلال مراحل يلخص كل منها تأثير 1977 ، النشوء الاجتماعي والفيزيقي للكائن الإنساني.

ويرتبط التاريخ الحقيقي لظهور علم النفس الارتقائي باسم جون ستانلي هول ، الذي يطلق عليه اسم والد علم نفس الطفل. بدأ هول دراسته في ألمانيا، وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية نشر تقريراً عام 1843 عنوانه (مضامين عقول الأطفال The Contents of children Mind) ويتميز هذا التقرير بأنه أول دراسة منظمة يتم إجراؤها على عدد كبير من الأطفال. وقد وضع هول هذا التقرير قواعد الاستخبار كمنهج من مناهج البحث : وكذلك وضع هول البذرة الأولى لقياس الذكاء، ودفع بحركة علم نفس الطفل إلى الأمام في الولايات المتحدة الأمريكية .

علم نفس النمو في القرن العشرين:

اكتسب الفريد بينيه شهرته في علم النفس باعتبار أنه أول من قدم اختباراً للذكاء . في عام ١٩٠٥ طلبت الحكومة الفرنسية من بينيه أن يقدم وسيلة موضوعية للكشف عن الأطفال المتأخرين عقلياً في المدارس، وذلك لتقديم طرق التعليم الملائمة لهم . فاستجاب بينيه لطلب الحكومة ، وقام بالاشتراك مع زميله سيمون Simmon في تقديم أول اختبار الذكاء للأطفال . وعلى الرغم من أن كثيراً من أسئلة هذا الاختبار جاءت مشابهة للأسئلة التي ضمنها اختبار جون ستانلي هول ، غير أن وسائلهم في تقديم أسئلة الاختبار ككل كانت منهجية وجديدة ، حيث تميزت أسئلة المقياس بأنها صادقة وثابتة . كما كانت الأسئلة مختارة من عينة كبيرة من البنود التي يمكن من خلالها التنبؤ بمستوى النجاح والفشل، وبالإضافة إلى ذلك قدم بينيه ولأول مرة في علم النفس مفهوماً جديداً لقياس الذكاء وهو مفهوم العمر العقلي mental age، والذي يعرف بأنه مجموع الأسئلة التي يستطيع أن يجيب عليها الأطفال في عمر معين.

يعتبر أول من أسس عيادة نفسيه للأطفال واهتم هو ومعاونوه بدراسة ارتقاء الأطفال الأسوياء لمدته تقارب نصف قرن واهتم في البداية بدراسة النمو الحركي عند الأطفال الرضع ثم اهتم بدراسة النمو الانفعالي والاجتماعي عند الأطفال ومن أهم إسهاماته تقديم جداول الارتقاء التي يمكن من خلالها معرفه في أي عمر يستطيع الطفل تأدية بعض المهارات مثل المشي الجري الجلوس الوقوف القفز التسلق .

وكان جيزل بمثابة حلقة وصل بين علماء النفس اللذين اهتموا بالجانب التطبيقي الذي يصف السلوك وصفا علميا وبين علماء اللذين اهتموا بالنظرية كأساس لتفسير السلوك وهناك نوعان من النظريات كان لهما تأثير كبير في تطور علم نفس النمو خلال هذه الفترة .

النوع الأول: تمثله نظريات التعلم التي تعتبر امتدادا للنظرية السلوكية عند واطسون حيث ترى هذه النظريات أن نمو سلوك الطفل ينتج من خلال الارتباطات والتبعات التي تحدث بين المنبهات المحيطة بالطفل وما يصدر منه كسلوك ومن ثم فان النمو السيكولوجي يعرف بأنه كل تغير تدريجي يحدث من خلال تفاعل الكائن الحي مع بيئته

أما النوع الثاني: فتمثله النظريات الايثولوجيه وهناك تسميات أخرى كالنظريات العضوية التي تنظر للنمو من خلال تفاعل الطفل مع عوامل النضج والوراثة واستندت الدراسات التي أجراها العلماء على الحيوانات والتي كانت تهتم بدراسة المحددات البيولوجية للسلوك ومن أشهر أصحاب هذا الاتجاه في القرن العشرين اللذان قاما بالعديد من التجارب والدراسات على الحيوانات والهدف من ذلك الكشف عن الأسس الوراثية ومختلف العوامل التي تحدد سلوك الطفل فيما بعد.

وهناك نظريات تحمل الموقع الوسط بين النظريات المعرفية والعضوية....مثلا نظريه بياجيه الذي يرى بدوره أن نمو الطفل ما هو إلا نتيجة لعوامل النضج البيولوجي من جهة ومختلف الخبرات الاجتماعية والثقافية التي يتعرض لها الطفل من جهة أخرى .

أما في النصف الثاني من القرن 20 فساهمة عوامل أخرى في تطور علم النفس بشكل عام وعلم نفس النمو بشكل خاص والتي يمكن تلخيصها فيما يلي :

1 - ساعدت الحرب العالمية الثانية العلماء على الخروج من معاملهم والاهتمام بدراسة العمليات العقلية الداخلية التي يعتمد عليها الإنسان في مواقف القتال فبدؤوا ينظرون للإنسان على انه ناقل للمعلومات ومتخذ للقرارات فلا بد من بذل أقصى الجهود لكي يعمل بدرجة عالية من الكفاءة .

2 - ظهور نظرية معالجة المعلومات جعلهم يستخدمونها لوصف عمليات التفكير لدى الإنسان ليتمكنوا من التنبؤ بالعمليات المعرفية للإنسان. ---- .

3 - لظهور علم الكمبيوتر والتوسع في استخدام النظم الآلية والتفاعل مع الرموز اثر كبير في تحويل اهتمام علماء النفس بدراسة نظام العقل الإنساني باعتباره نظاما آليا تتشابه فيه العمليات المنطقية الرياضية التي يقوم بها الإنسان مع البرامج المستخدمة في الكمبيوتر

بالإضافة إلى ذلك ساعدت نظرية معالجة المعلومات الباحثين لتوجيه انتباههم في علم نفس النمو لإجراء البحوث على الأطفال الرضع بعد أن كانت مهمة من قبل فمن من المعتقدات الفلسفية التي سادت طويلا معتقد أن الطفل يولد صفحة بيضاء وعقله خال تماما من أي شيء وارتقاء المعرفة لديه لا تحدث إلا من خلال تفاعل الطفل مع بيئته وقد أبدت النظرية السلوكية ونظريات التعلم في علم النفس الحديث هذه الوجهة ومع تقدم العلوم وظهور نظرية معالجة المعلومات أدرك الباحثون في علم النفس الارتقائي أن عملية التقدم في النمو تكون صعبة الحدوث إن لم نقل مستحيلة دون وجود بناء سابق يولد به الطفل ويساعد على ظهور مثل هذه العمليات ومن ثم فإن قياس العملية الأولية التي تكون عليها العمليات المعرفية لدى الطفل الرضيع قبل تفاعله مع أي مؤثرات خارجية في البيئة أصبح موضوعا لكثير من البحوث الحديثة في علم نفس النمو.

المحاضرة الثالثة: مناهج البحث في علم نفس النمو

تتعدد المناهج في علم نفس النمو كتعددتها في سائر العلوم الأخرى وبالطبع فإن المنهج الذي يتبعه الباحث عند القيام بدراسة ما يتوقف على السؤال الذي يريد الباحث الإجابة عنه والسؤال الجوهرى المطروح في علم نفس النمو والذي يهتم الباحث بالإجابة عنه: ما هي أهم التغيرات التي تطرأ على سلوك الفرد عبر مراحل العمر المختلفة؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن للباحث أن يختار المنهج الطولي والمنهج المستعرض وهما الأكثر ملائمة والأكثر استعمالاً في مجال علم نفس النمو.

1- المنهج المستعرض: يعرف بأنه المنهج الذي يقوم فيه الباحث بمقارنة سلوك ما أو قدرة ما عند مجموعات عمرية مختلفة في نفس الوقت...مثلاً: إذا أراد احد الباحثين دراسة التغيرات التي تطرأ على عملية التذكر اللفظي عند الأطفال في الفترة العمرية الممتدة من 4-8 سنوات وقرر الباحث أن يستخدم المنهج المستعرض، فيمكنه اختيار مجموعات من الأطفال تتألف الواحدة منها من 20 طفلاً في أربعة أعمار مختلفة وتكون كالتالي: من 4 إلى 5 سنوات، من 5 إلى 6 سنوات، من 6 إلى 7 سنوات، من 7 إلى 8 سنوات. ويقوم بتقديم احد اختبارات التذكر اللفظي على هذه المجموعات الأربعة، ثم يقوم بمقارنة متوسطات أداء الأفراد عبر المجموعات العمرية للكشف عن مدى التغيير الذي يطرأ على الذاكرة اللفظية للأطفال في هذه المرحلة من العمر.

ويستخدم المنهج المستعرض بكثرة في علم نفس النمو نظراً لقلّة تكاليفه، وسهولة الحصول على البيانات المطلوبة في فترة زمنية قصيرة، وتعتبر دراسات جون بياجيه ومن تبعوه من تلامذته مثلاً جيداً للدراسات المستعرضة حيث اهتم كل منها بدراسة نمو التفكير وخصائصه عند الأطفال في أعمار زمنية متتابعة، فدراسة الزمان و المكان والعدد تكون مناسبة للمنهج المستعرض.

كذلك عند قيامنا بدراسة التدهور الذي يطرأ على بعض القدرات عبر العمر لا تكون المناهج المستعرضة مناسبة وذلك لوجود اثر فعال للمتغيرات الثقافية والاجتماعية في نمو هذه القدرات، فقد أجريت بعض الدراسات على تدهور الذكاء عبر العمر عند مجموعتين مختلفتين من الأشخاص المجموعة الأولى 50 سنة والمجموعة الثانية 70 سنة وكشفت نتائج الدراسة على انخفاض أداء المجموعة الأكبر سناً وذلك قياساً بالمجموعة الأصغر وبتتبع هذه المجموعتين لعدة سنوات توصلت الدراسات إلا أن المجموعة الأصغر سناً عندما أصبح عمرها قريباً من 70 سنة لم يتدهور أدائها كثيراً...مقارنة بالمجموعة الأكبر سناً-لما كانت في نفس السن..70 سنة- ويعزو الباحث ونمثل هذه النتائج إلى اختلاف الخبرات ونوع التعليم الذي تعرضت له كل مجموعة على حدة.

2- المنهج الطولي: يعرف بأنه ذلك المنهج الذي يستخدمه الباحث لدراسة سلوك ما ، وذلك بتتبع ارتقائه عند مجموعة واحدة من الأطفال عبر فترات زمنية متتابعة. مثلاً: يمكن للباحث تتبع نمو اللغة عند الأطفال بتتبع ارتقاء هذا السلوك عند مجموعة واحدة من الأطفال في أعمار مختلفة (سنتين، ثلاث سنوات، أربع سنوات.....) وذلك بهدف الكشف عن التغيرات التي تطرأ على هذا السلوك عبر مراحل العمر المختلفة وبمعنى آخر المقارنة في الدراسات الطولية تكون بين المجموعة ونفسها عبر فترات زمنية متتابعة.

ويمكن الحصول على البيانات المطلوبة في المناهج الطولية عبر أسلوبين هما:

- أ- الأسلوب ألتبعي: والذي يبدأ في سن معينة قد يكون من لحظة الميلاد أو عند تعرض الأطفال لحدث ما، ويقوم الباحث بتتبع اثر هذا الحدث على السلوك المراد قياسه ومن ثم فان الدراسة تكون تتبعيه للأمام.
- ب- الأسلوب ألتراجعي: حيث لا يقوم الباحث بتتبع أفراد العينة محل الدراسة زمنيا للأمام، بل يحصل على البيانات المطلوبة بالعودة إلى الوراء، مثل فحص الملفات والوثائق الخاصة بأفراد العينة أو جمع البيانات من الأشخاص القريبين منهم.

متى نستخدم المناهج الطولية؟... يفضل عادة استخدام المناهج الطولية عن المناهج المستعرضة في البحوث نظرا لدقة النتائج التي يمكن الوصول إليها حيث تأخذ بعين الاعتبار الفروق داخل المجموعات والتي عادة ما تطمس في المناهج المستعرضة ومن ثم يمكن الكشف عن الفروق بين الفرد ونفسه عبر العمر، وعلى ذلك فان هذا المنهج يلائم دراسة بعض القضايا الهامة في نفس النمو، مثل ثبات سمة من سمات الشخصية عبر الزمن واثر الخبرات الأولية المبكرة على السلوك والشخصية فيما بعد، كذلك فان هذه المناهج تكون أكثر حساسية للتغيرات السريعة التي تطرأ على وظيفة ما عبر فترات قصيرة فمثلا حدة البصر عند الأطفال الرضع تنمو بشكل سريع في العام الأول للطفل وتكون المناهج الطولية مناسبة للغاية في هذه الحالة حيث يستطيع الباحث خلال عام واحد تتبع مسار ارتقاء هذه القدرة داخل مجموعة واحدة من الأطفال والكشف عن كل التغيرات والفروق التي تطرأ من شهر لآخر بل من أسبوع لآخر وعلى الرغم من المزايا التي تتمتع بها المناهج الطولية إلا أن الباحثين يخشون استخدامها لأنها تستغرق فترة زمنية طويلة، وكذلك زيادة تكلفتها... الخ.

جدول يوضح اهم مز ايا وعيوب المناهج الطولية والمستعرضة

1-المز ايا:

المناهج الطولية	المناهج المستعرضة
1- توفر الضبط والدقة	1- توفر الوقت حيث تستغرق فترة زمنية قصيرة
2- لا تحتاج إلى مجموعات زمنية متكافئة لان المجموعة التجريبية تكون ضابطة لنفسها	2- يمكن أن يقوم بها باحث واحد
3- تأخذ في الاعتبار الفروق داخل المجموعة العمرية ونفسها عبر الزمن، وتحسب هذه الفروق على أنها فروق حقيقية	3- تعطي صورة عامة عن نمط الارتقاء في أسرع وقت

. ثانيا العيوب :

المناهج الطولية	المناهج المستعرضة
تستغرق فترة زمنية طويلة	تعطي تمثيلا تقريبا لعمليات النمو
أكثر تكلفة من الناحية الاقتصادية	لا توجد عناية بالفروق داخل كل المجموعة العمرية
فقدان بعض الحالات بسبب السفر أو المرض...الموت... الخ	لا يعنى بالتغيرات الاجتماعية والثقافية عبر العمر

3-المناهج الطولية ذات الامتداد الزمني المحدود:

نظرا لوجود مزايا وعيوب لكل من المناهج الطولية والمستعرضة اتجه بعض الباحثين للدمج بين الطريقتين للاستفادة من مزايا كل منهما ويقوم الباحث في هذه الطريقة باختيار مجموعات من الأطفال في أعمار متقاربة ، ويتم عمل قياسات للسلوك المراد دراسته عبر فترات متكررة من الزمن فمثلا يمكننا اختيار مجموعتين: أحدهما في سن الثانية والأخرى في سن الرابعة.ثم نتبع المجموعة الأولى بالقياس في سن الثانية، والثانية والنصف ، والثالثة ، والثالثة والنصف والرابعة...وبالمثل نختبر المجموعة الأخرى عند سن أربع سنوات ، أربعة وستة أشهر، خمس سنوات...ستة سنوات ومن ثم تزودنا هاتان المجموعتان بالبيانات الطولية عن أداء الأطفال في كل هذه الفترات العمرية على الرغم من أن الدراسة لم تستغرق سوى سنتين فقط.

المبادئ العامة للنمو الانساني –القوانين-

يخضع النمو الانساني لمجموعة من المبادئ :

1 –النمو تغير مستمر:

وهذا يعني ان النمو الانساني يقوم على التفاعل بين ما ورثه الكائن الحي وما يتعرض له من مؤثرات بيئية، اجتماعية ولا يتوقف النمو عند مرحلة واحدة .

(النمو عبارة عن استعدادات وراثية+مؤثرات بيئية)

مثلا نمو الرضيع في مرحلة الرضاعة لا يتوقف عن مرحلة واحدة بل يمتد عبر ازمين وينتقل من مرحلة الى اخرى.

2 –توجد فروق فردية بين الافراد في معدلات النمو:

مثلا اذا قارنا بين زملاء نجد ان احدهم قصير والآخر طويل، الاول مستوى ذكائه مرتفع والثاني منخفض.

ففي المقارنة الاولى هناك فروق في النمو الجسدي والمقارنة الثانية في النمو العقلي.

وهذه الفروق ليست بين الافراد فقط بل داخل الفرد الواحد..مثال:النمو الجسدي يكون سريع والنمو العقلي يكون بطيء او العكس.

3 – جوانب النمو مرتبطة ببعضها البعض:

اثبتت بعض الدراسات ان الاطفال الذين ينخفض معدل الذكاء لديهم يتأخرون عن اقرانهم في المشي والكلام، والطفل الذكي غالبا ما يكون متقدما في النمو الاجتماعي والانفعالي.

4 – تختلف سرعة النمو من مرحلة لأخرى :

من المستحيل ان تكون سرعة النمو لدى الإنسان نفسها في جميع مراحل حياته، فأسرع نمو جسدي يكون في المرحلة الجنينية، بعدها الطفولة المبكرة ، بينما تكون عملية النمو ع فيما بطيئة في مرحلة الطفولة المتأخرة ليتسارع فيما بعد في مرحلة المراهقة .

5 – النمو يسير في اتجاهات طولية وعرضية: النمو يسير في اتجاهين متعامدين، احدهما طولي يبدأ من اعلي الرأس ويتجه إلى آخر القدم والآخر عرضي من منتصف الصدر ويتجه إلى اليمين واليسار

وتكون النسب مختلفة عند الجنسين في معدل نمو الرأس ، الصدر ، السيقان.

6 – يسير النمو من العام إلى الخاص:

مثلا:الطفل الذي يريد اخذ شيء بالقرب منه ، يقوم بتحريك جسمه بالكامل أي يقوم بتحريك الكتلة الجسمانية بالكامل-بشكل كلي-بينما الفرد الكبير يقوم بتحريك يده للحصول على شيء ما.

مراحل النمو الإنساني ومطالبه:

1 مراحل النمو الإنساني:

النمو عملية مستمرة لا توجد بينها فواصل قاطعة حيث يمكننا تقسيم مراحل النمو كالتالي:

المرحلة الجنينية: وتمتد من مرحلة الحمل حتى الولادة

مرحلة الرضاعة: وتمتد من الولادة حتى السنة الثانية

مرحلة الطفولة المبكرة: وتمتد من 2 إلى 6 سنوات

مرحلة الطفولة المتأخرة: من 6 إلى 12 سنة

مرحلة المراهقة: من بداية البلوغ والنضج حتى 21 سنة

مرحلة الشباب والرشد من 21 إلى 40 سنة

مرحلة الكهولة من 40 إلى 60 سنة

مرحلة الشيخوخة: من 60 إلى 80 سنة

مرحلة الهرم وأرذل العمر: من 80 فما فوق

2- مطالب النمو الإنساني:

تمثل مطالب النمو الإنساني مجموعة من السلوكيات المشتركة بين الأفراد الذين هم في مرحلة عمرية واحدة. ولكل مرحلة من مراحل النمو الإنساني مجموعة من المطالب الخاصة بهم، وقد يظهر المطلب الواحد في مرحلة معينة والمراحل التي تليها فقط، حيث يسعى الفرد إلى تحقيق المطالب ضمن المرحلة العمرية المحددة لها لان فشل الفرد المطلب الواحد يؤدي إلى صعوبة تحقيق المطالب الأخرى .

1-مطالب النمو في مرحلة الطفولة الأولى (من الولادة حتى 6 سنوات):

- أن يصبح قادرا على تناول المأكولات الصلبة.

- أن يصبح قادرا على المشي والحبو.

- القدرة على استخدام الأشياء البسيطة وإدراك العالم المادي والجسدي.

- القدرة على فهم الكلام والنطق به والتحكم في احتياجاته.

-التفريق بين الخطأ والصواب وضبط سلوكه وفق هذه القواعد.

- تكوين مدركات بسيطة ومفاهيم عامة عن الحقائق الاجتماعية والطبيعية.
- ربط علاقات عاطفية واجتماعية مع أبويه وإخوته.
- التفريق بين الخير والشر وبدا تكوين الضمير.

2 – مطالب النمو في مرحلة الطفولة المتأخرة:

- تعلم بعض المهارات الضرورية لمزاولة مختلف الأنشطة
- تعلم إلباس نفسه وحفظ جسده نظيفا بالقدر الكافي
- تعلم بعض المهارات العقلية الأساسية كالقراءة والكتابة...
- القدرة على التصرف في ماله تصرفا مناسباً
- تعلم كيفية تكوين اتجاه عام حول نفسه ككائن نامي
- التفاهم مع من هم في عمره ..أكبر منه...اصغر منه
- تنمية الضمير والقيم الخلقية والسلوكية
- الإحساس بالخطأ والصواب وضبط إحساسه وفقا لهذا الإحساس.
- تعلم مختلف الألعاب والمهارات الحركية.

3 – مطالب النمو في مرحلة البلوغ والمراهقة:

- التهيؤ لاختيار حرفة تؤمن له الاستقلال الاقتصادي
- زيادة حسه العقلي والأخلاقي
- الاستقلال العاطفي عن الوالدين والكبار
- إقامة علاقات متبادلة ووثيقة مع أهله ، معلميه ..وغيرهم من الراشدين.
- تنمية اهتماماته الاجتماعية
- التهيؤ للزواج والحياة العائلية
- الميل لتكوين علاقات اجتماعية وعلاقات عاطفية مع الجنس الآخر.

4 – مطالب النمو في مرحلة الشباب:

- الاستعداد نفسيا لمزاولة إحدى المهن
- تحمل مختلف مسؤولياته الوطنية ، المادية والاجتماعية والعائلية..الخ
- الانتماء لفريق اجتماعي ويصبح عضوا ناشطا ومهما في مجتمعه

5 – مطالب النمو في مرحلة الرجولة 35-60 سنة :

في هذه الفترة يكون الفرد قد وصل إلى مرحلة استقرار اقتصادي ويسعى للمحافظة عليه ليصبح في هذا السن قادرا على:

- مساعدة وتوجيه المراهقين للتغلب على أزماتهم وتحمل مسؤولياتهم.
- إرشادهم وتنمية هواياتهم المناسبة لهذه المرحلة.

- تقبل التغيرات الجسمية التي تحدث في هذه المرحلة والتكيف معها.

6- مطالب النمو في مرحلة الشيخوخة: - التكيف مع تناقص القدرة الجسدية وتزايد الأمراض وموت الرفاق.

- التكيف مع المشكلات الشخصية لسن التقاعد وقلة العمل.

- مواجهة تناقص أهمية دوره في الحياة واللجوء إلى اهتمامات أخرى.

العوامل المؤثرة في النمو

يرتبط فهمنا لتطور سلوك الطفل بدراسة العديد من العوامل التي تؤثر على نموه وارتقائه عبر مراحل العمر المختلفة ، ذلك أن كل سلوك مهما كانت بساطته إنما ينشأ عن عدد من العوامل الوراثية والبيئية التي من الصعب أن تفصل بينها ، ومع ذلك تمكن الباحثون في الأونة الحديثة من التوصل إلى عدد من التكنيكات والأساليب الحديثة التي مكنتهم من تحديد الأثر النسبي لكل من الوراثة والبيئة ، ومدى مساهمتهما في تشكيل كثير من الخصائص والسمات السلوكية للفرد.

ولتيسير دراسة العوامل المؤثرة في سلوك الأفراد ، يلزمنا تقسيم هذه العوامل إلى مجموعتين رئيسيتين هما : مجموعة العوامل البيولوجية - سواء كانت وراثية أو غير وراثية - ومجموعة العوامل البيئية . وتنقسم العوامل البيولوجية غير الوراثة بدورها إلى عوامل ما قبل الميلاد ، وعوامل أثناء الميلاد ، وعوامل ما بعد الميلاد ، أما العوامل البيئية فيمكن تقسيمها إلى عوامل نفسية واجتماعية ، وعوامل ثقافية وحضارية ..

العوامل البيولوجية: تنقسم العوامل البيولوجية التي تؤثر في النمو الارتقاء إلى نوعين رئيسيين هما:

1-عوامل بيولوجية وراثية ./2- عوامل بيولوجية غير وراثية.

العوامل البيولوجية الوراثة: يتكون جسم الإنسان من ملايين الخلايا التي يمكن تقسيمها إلى نوعين هما: الخلايا الجسمية، والخلايا الجنسية أو الجرثومية . ويوجد والتي يقدر عددها بحوالي ٢٠ ألف حين داخل كل كروموزوم . وتنتقل الخصائص الوراثة للفرد من والديه عن طريق هذه المورثات أو الجينات، ولذلك تعتبر الوراثة عاملاً هاماً يؤثر في عملية النمو من نواحي كثيرة سواء من حيث مداه ، نوعه ،

أولاً: العوامل التي تؤثر على نمو الجنين اثناء فترة الحمل

1- إصابة الأم بأمراض معدية: يتأثر نمو الجنين بالأمراض التي تصاب بها الأم أثناء فترة الحمل إن إصابة الأم بهذه الأمراض لا يترتب عليها أن تنتقل بذاتها إلى الجنين ، ولكن يكون لهذه الأمراض العديد من الآثار السلبية على النمو العام للجنين ، حيث تعطل معدلات نموه وتصيبه ببعض التشوهات الخلقية أو التأخر العقلي. وتكون الإصابة أشد خطورة إذا حدثت العدوى خلال الشهرين الأولين من الحمل ، ولذلك تنصح كل أم حامل بمحاولة تفادي التعرض لهذه الأمراض وضرورة أن تستشير طبيبها الخاص كل شهر طوال فترة الحمل.

2- تغذية الأم: إن عدم التكامل بين العناصر الغذائية التي تتناولها الأم أثناء فترة الحمل من شأنه أن يؤثر على صحة الجنين ، فمثلا نقص البروتين أو الكالسيوم أو الحديد من غذاء الأم ، أو انخفاض نسبته ، من شأنه أن يصيب الجنين بفقر الدم أو الهزال ، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى تأثر الجهاز العصبي للطفل ، و حدوث حالات من التأخر العقلي . ونقص وزن الأم الشديد أثناء فترة الحمل نتيجة سوء التغذية يعتبر مؤشرا سيئا للحالة التي يكون عليها الجنين ، وقد يؤدي في بعض الحالات إلى الإجهاض أو الولادة المبكرة.

3- القلق النفسي للأم :يكون للحالة النفسية للأم أثناء فترة الحمل أثر بالغ الأهمية على صحة الجنين. وتشير معظم البحوث الطبية والنفسية الحديثة إلى أن التغيرات الهرمونية التي تحدث للأم

أثناء فترة الحمل من شأنها أن تؤثر على التركيب البيولوجي والكيميائي لدم الأم ،والذي يتغذى عليه الجنين ، مما يؤثر بدوره على نموه وارتقائه فيما بعد . وتعرض الأم لأملأى انفعالات أو شعورها بالتوتر والقلق والخوف الزائد ، من شأنه أن يستثير الجهاز العصبي الذاتي ، والذي يؤثر بدوره في حدوث اضطرابات في إفراز الغدد وتغير التركيب الكيميائي للدم ، الأمر الذي يؤثر على الجنين. ولذلك تنصح الأم الحامل بالابتعاد عن أي مصدر للقلق أو الاكتئاب وعدم الانفعال المستمر أثناء الحمل..

4- العقاقير : يتأثر نمو الجنين بما تتعاطاه الأم أثناء فترة الحمل من عقاقير طبية مخدرة ، أو إدمانها شرب الخمر أو التدخين بصورة مكثفة ، مما يحدث تغييرا كيميائيا في الدم ويعرض معدل نمو الجنين للتأخر . ويؤثر ذلك على غذائه وتنفسه . وتوجد كثير من الأدلة على أن انخفاض وزن الجنين عند الميلاد وصغر العظام تشيع أكثر بين أطفال الأمهات المدخنات عن غير المدخنات ، كذلك توجد نسبة لا بأس بها من الأطفال في المجتمعات الغربية يعانون اضطراب ينشأ من إفراط الأم المزمن في شرب الخمر. وتتضمن أعراض هذا المرض عند الجنين تأخر النمو داخل الرحم، الولادة المبكرة، صغر حجم الدماغ ، وغير ذلك من التشوهات الخلقية.

5- الإشعاعات: إن تعرض الأم الحامل لأي مصدر من مصادر الإشعاع يكون له آثار خطيرة على الجنين. وتظهر الآثار السلبية للإشعاع بصورة أكبر إذا تعرضت الأم لأشعة إكس خاصة في الشهور الأولى من الحمل ، وهي الفترة التي يحدث فيها انقسام الخلايا و حدوث بعض الأضرار للجينات ، والتي تؤدي بدورها إلى إصابة الجنين بتشوهات خلقية وتأخر عقلي. ولذلك ننصح الأم الحامل بعدم التعرض لأي إشعاعات أثناء فترة الحمل ، خاصة التعرض لأشعة إكس.

6- عمر الأم: تدل بعض البحوث على أن الفترة العمرية الممتدة من سن 20-35 هي أنسب الأعمار للحمل . أما حدوث الحمل بعد سن ٣٥ فإنه يتضمن بعض الأخطار ، مثل ولادة أطفال متأخرين عقليا أو لديهم تشوهات . ويرجع ذلك إلى ضعف وظيفة الإنجاب عند الأم بعد هذه السن وضعف مقاومتها لأي أمراض تتعرض لها أثناء هذه الفترة.

7- نقص الأكسجين: يعتبر نقص الأكسجين في فترة الولادة من العوامل الرئيسية التي تؤثر في نمو الطفل ، والتي ترتبط في حالات كثيرة بحدوث بعض الإعاقات مثل التأخر العقلي والشلل الدماغي وتعرف حالات نقص معدل الأوكسجين الذي يصل للطفل أثناء فترة الولادة بحالات أسفكسيا asphyxia والتي لا تعنى نقص معدل الأوكسجين فحسب، بل زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون في دم المولود.

وهناك العديد من الدراسات التي حاولت تتبع نقص الأوكسجين أثناء فترة الولادة وأثرها على عملية الارتقاء ، فكتشفت بعض الدراسات التي أجريت على الأطفال الذين تعرضوا لنقص الأوكسجين أثناء فترة الولادة عن أن أداء هؤلاء الأطفال كان أسوأ من أداء الأطفال الأسوياء على عدد من الاختبارات التي تقيس بعض الوظائف العقلية والمهارات الحسية والحركية.

8- تناول أدوية أثناء فترة الولادة:

إن تناول الأم لأي أدوية مسكنة للألم من شأنه أن يؤثر بصورة أو بأخرى على حالة الجنين - فأخذ بنج كلي أثناء الولادة سرعان ما ينتقل إلى الجنين من خلال الحبل السرى ، ومن ثم فإنه قد يؤثر على الدورة الدموية له نظراً لأن جسم الطفل يكون غير قادر على التفاعل مع أي مواد خارجية مثل الأدوية والعقاقير ، والتي يستمر تأثيرها لعدة أيام بعد الولادة.

ثالثاً: العوامل التي تؤثر على نمو الجنين بعد الميلاد

يتعرض الطفل بعد الميلاد إلى العديد من العوامل التي تؤثر في نمط ومعدلات نمو ارتقائه فيما بعد، وبعض هذه العوامل ذو طبيعة بيولوجية ، حيث يؤدي حدوثها إلى تغيرات بيولوجية وفسولوجية في جسم الطفل. ومن أهم هذه العوامل سوء التغذية.

سوء التغذية: تؤثر ظروف سوء التغذية التي يتعرض لها الرضيع في تأخر كثير من مظاهر النمو لديه فعلى الرغم من أن الطفل الرضيع يولد وهو مزود بالعدد الكامل من الخلايا العصبية المكونة للمخ وسائر الجهاز العصبي، غير أنه بعد الميلاد يحدث تزايد في حجم تلك الخلايا ، مما يؤدي إلى زيادة حجم ووزن المخ ... وتؤثر ظروف سوء التغذية التي يتعرض لها الطفل بعد الميلاد فتؤدي إلى انخفاض معدلات النمو الطبيعية للمخ. وسواء حدثت ظروف سوء التغذية بعد الميلاد مباشرة أو خلال العام الأول للطفل فإن ذلك من شأنه أن يؤثر على نمو المخ وعلى ارتقاء العديد من وظائفه. ففي بعض الدراسات التي أجريت على مجموعة من الأطفال الرضع Illingworth 1989 الذين توفوا بعد عامهم الأول نظراً لتعرضهم لظروف سوء التغذية ، قام الباحثون بمقارنة وزن المخ عند هؤلاء الأطفال بوزن المخ لدى مجموعة أخرى من الأطفال الرضع الأسوياء الذين ماتوا أيضاً في عامهم الأول نتيجة لتعرضهم لبعض الحوادث أو إصابتهم بالتسمم . وقد لوحظ أن وزن المخ لدى أطفال المجموعة الأولى كان أقل ، وأن نسبة مادة الـ DNA كانت لديهم أقل . وتشير مثل هذه النتائج إلى أن ظروف سوء التغذية الحادة والتي تحدث للطفل في العام الأول من شأنها أن تؤثر على معدلات تكاثر خلايا المخ في هذه الفترة ، والتي تؤدي بدورها إلى ببطء نمو المخ وانخفاض وزنه.

وهناك العديد من الدراسات الحديثة التي أجريت حول آثار سوء التغذية التي يتعرض لها الأطفال في السنوات الأولى من العمر ، والتي تشير إلى تأخر كثير من مظاهر النمو الحركي واللغوي والمعرفي لدى هؤلاء الأطفال. غير أن هناك بعض المشاكل المنهجية التي تواجه هذا النوع من الدراسات ، ومنها عدم وضع تعريف دقيق لسوء التغذية. فهل سوء التغذية يعنى إصابة الطفل بأحد أمراض سوء التغذية ، بحيث أدى الأمر إلى إبداعه أحد المستشفيات المتخصصة، وإذا كان الأمر كذلك فعلياً لا توجد معلومات متوفرة في هذه الدراسات حول تاريخ المرض عند الطفل : متى دخل

المستشفى؟ شدة الاعراض، العوامل النفسية والاجتماعية الأخرى التي تعرض لها هؤلاء الأطفال والتي يمكن أن تؤثر على مجالات النمو المختلفة بالإضافة إلى سوء التغذية.

ثانياً العوامل البيئية:

قدم الباحثون المعاصرون في علم النفس مصطلحاً حديثاً نسبياً لبيان أثر البيئة في نمو وارتقاء السلوك. هذا المصطلح هو ايكولوجي Boology ، والذي يشير إلى السياق الاجتماعي والثقافي والحضاري الذي ينشأ فيه الفرد ، وكيف يؤثر على سلوكه بصورة مباشرة أو غير مباشرة

ويمكن تقسيم العوامل الإيكولوجية التي تؤثر في نمو الطفل إلى نوعين من العوامل ، هما:

1-العوامل الاجتماعية والنفسية المباشرة التي يعيش فيها الطفل ، والتي تشمل تأثير الآخرين المحيطين به مثل الوالدين الأخوة الأقران ... إلخ ، وكيف يتشكل سلوك الطفل من خلال التفاعل الاجتماعي مع هؤلاء الأفراد.

2 -العوامل الثقافية والفيزيائية التي ينشأ فيها الطفل ، والتي تشمل التأثير غير المباشر للمجتمع الذي ينتمى له الطفل. ويشمل ذلك تأثير مؤسسات المجتمع المختلفة مثل المدرسة المنزل ، وسائل الإعلام ... إلخ

أولاً : البيئة الاجتماعية والنفسية للطفل : تتضمن العوامل النفسية والاجتماعية للطفل دور كل من مجتمع الأسرة والمدرسة في تشكيل سلوكه ونمو شخصيته . وسوف نتناول بالتفصيل دور الأفراد المحيطين بالطفل في كل من الأسرة والمدرسة ، مثل الأم، الأب ، الأخوة ، المدرسين ، الأقران .. وكيف يؤثر كل هؤلاء في نمو الطفل وتشكيل شخصيته فيما بعد الأسرة يتلقى الطفل منذ نعومة أظافره وطوال سنوات الطفولة والمراهقة قدراً من الرعاية تختلف باختلاف وعى الأبوين ومدى خبرتهم بتربية الأطفال ، ودرجة تقبلهم له ، ومدى تفاعلهم معه لينظموا ويعدلوا في سلوكياته. وفيما يلي نعرض لأهم المتغيرات

التي ترتبط بتأثير كل من الأم والأب والإخوة.

11الأم: تعتبر الأم المنبع الأول الذي يستقى منه الطفل قيمه وعاداته واتجاهاته . فمنها يتعلم الطفل مفهوم الصواب والخطأ، ويتعرف على الأساليب السلوكية التي يجب أن يتبعها في المواقف الاجتماعية المختلفة. وتتجه الدراسات الحديثة إلى الكشف عما يسمى بمتغيرات الأمومة maternal variables التي من شأنها أن تؤثر في نمو شخصية الطفل . وفيما يلي تذكر بعض هذه المتغيرات:

*الحرمان العاطفي من الامومة: تمثل الأم الأرض الخصبة التي تنمو فيها عاطفة ووجدان الطفل. فالسنوات المبكرة فعلى الرغم من أن أول كلمة ينطق بها الرضيع تكون في نهاية عامه الأول وبداية عامه الثاني ، غير أن الطفل لكي ينطق فعلياً أن يسمع ويدرك ويفهم ما ينطق به الآخرون من حوله

إن الأم التي تساعد طفلها على التعبير عن نفسه والتحدث بحرية دون قمع أو زجر ، هي أم واعية بقواعد التربية السليمة. فهناك كثير من الأمهات يعتقدن أن الطفل الصامت هو الطفل المهذب أو النموذجي ، وهذا غير صحيح .. لأن

توبيخ الطفل باستمرار عندما يبدأ الكلام أو الحديث مع الآخرين يجعله يشعر بالإحباط ويلجأ إلى كبت أفكاره ومشاعره

2- الأب: من المعتقدات الخاطئة التي تنتشر في كثير من الأسر هو الاعتقاد بأن الأم هي المسئول الأول والأخير عن تنشئة أطفالها وتوجيه وتعديل سلوكياتهم، وأن دور الأب يقتصر على رعاية الأسرة مادياً، وتوفير ما يلزم الأطفال من مأكلاً وملبس ودواء... إلخ. وتشير الدراسات الحديثة في علم النفس إلى أن دور الأب لا يقل أهمية عن دور الأم في تشكيل سلوك الأبناء وتنمية مهاراتهم الاجتماعية والعقلية وصقل شخصيتهم. ومن أهم متغيرات الأبوة التي تناولتها هذه البحوث: غياب الأب عن الأسرة. إن غياب الأب عن الأسرة لظروف معينة - مثل سفره للعمل في الخارج - تؤدي إلى انصرافه عن أبنائه، وعدم الجلوس معهم، والاستماع إليهم، وتفهم حاجاتهم النفسية والمعنوية... ومن العوامل الأخرى التي ترتبط بدور الأب في تنشئة أبنائه هو طلاقه من زوجته، والزواج من أخرى. وسوف نعود لمناقشة أثر الطلاق في تنشئة الأبناء في الفقرة التالية. كذلك فإن غياب الأب عن أسرته بسبب الوفاة يجعل الأبناء يفتقدون العائل والمربي في وقت واحد، مما يدفع بعض الأبناء إلى إتباع الطرق غير الشرعية وغير القانونية لإشباع حاجاتهم المادية، خاصة إذا كانت حالة الأسرة غير ميسورة. كذلك فإن تعاطي الأب للمخدرات يمكن أن يؤثر على نمو شخصية الأبناء، حيث يفتقد الطفل النموذج الاجتماعي الذي يمكن أن يتوحد معه أو أن يحظى بإعجابه.

3- العلاقة بين الوالدين:

إن العلاقات السوية بين الوالدين وتحقيق الوفاق بينهما يؤدي إلى تماسك الأسرة ويساعد على إشباع حاجات الطفل النفسية وإحساسه بالأمان والطمأنينة. ومن ثم فإن الخلافات بين الوالدين كثيراً ما تخلق نوعاً من التوتر الذي يشيع في جو الأسرة، مما يؤدي إلى أنماط السلوك المضطرب لدى الطفل كالشجار والأنانية والخوف، وكثيراً ما يؤدي سوء التوافق بين الوالدين إلى حدوث الطلاق الذي يكون له تأثيراً سيئاً على شخصية الطفل وعلى نموه فيما بعد.

الآثار المترتبة على الطلاق بين الوالدين:

من المجالات التي لوحظ فيها آثار سلبية على نمو الأطفال نتيجة الطلاق هو مجال القدرات العقلية. فقد تبين أن أطفال الأمهات المطلقات - وخصوصاً الأبناء الذكور - يكونون في المتوسط أميل إلى الحصول على تقديرات دراسية أسوأ ودرجات ذكاء أقل من الأطفال الذين ينتمون إلى أسر سليمة. كذلك لوحظ أن الأولاد أكثر تأثراً من البنات فيما يبدو بسبب الطلاق، حيث تتأثر علاقة الطفل بالوالدين، خاصة علاقة الابن بالأم، والتي كثيراً ما تتدهور بسبب استخدام الأمهات لكثير من الاستجابات السلبية. كذلك كشفت بعض الدراسات أن أبناء الأمهات المطلقات يكونون ميالين لعدم مسايرة المجتمع، وماندفعين، وأقل قدرة على ضبط الذات.

-أساليب التنشئة الاجتماعية «معاملة الوالدين»

لما كانت العلاقة بين الطفل ووالديه مهمة وحاسمة في تحديد وبلورة سماته الشخصية التي تتكون فيما بعد، فقد غنيت العديد من الدراسات النفسية بالكشف عن أنواع العلاقات التي تربط بين الطفل ووالديه. ويمكن تلخيص أهم أساليب التنشئة الاجتماعية والنتائج المترتبة عليها فيما يلي:

(أ) الأسلوب التسلطي:

يتسم هذا الأسلوب بفرض رأى الوالدين على الطفل ، والوقوف ضد رغباته ، أو اللجوء إلى الضرب أو الحرمان أو التهديد بهما، أو التدخل المستمر في خصوصياته . وعادة ما يؤدي هذا الأسلوب إلى نشأة طفل يخاف من السلطة ، ويشعر بالدونية وعدم الكفاءة ، وقد تؤدي كثرة الإحباطات التي يتعرض لها الطفل إلى ظهور شخصية عدوانية ، تميل إلى التخريب وإتلاف ممتلكات الغير.

(ب) الحماية الزائدة

يقصد بأسلوب الحماية الزائدة over protection قيام الوالدين نيابة عن الطفل بالواجبات والمسؤوليات التي من المفروض أن يقوم بها الطفل ، وذلك بقصد حمايته وإرشاده ومساعدته ، ومن ثم لا تعطى هذه الحماية للطفل فرصة للتصرف في أموره ، وذلك اعتقاداً من الوالدين بأن الطفل لا يزال صغيراً. وعادة ما يرتبط هذا الأسلوب بنمو شخصية اعتمادية، غير قادرة على تحمل المسؤولية وغير واثقة بذاتها.

(ج) الإهمال:

يتسم أسلوب الإهمال carelessness بعدم إعطاء الوالدين للطفل أي تغذية راجعة feed back عن سلوكياته الجيدة أو السيئة ، أو عدم مشاركته أحزانه وأفراحه ، أو عدم تشجيع الطفل على السلوك المرغوب فيه أو محاسبته على السلوك غير المرغوب فيه . وغالباً ما يرتبط هذا الأسلوب بنمو شخصية مهزوزة للطفل ، حيث يفقد القدرة على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ ، ويفقد شعوره بالانتماء إلى أسرته الصغيرة ومجتمعه الكبير.

(د) التدليل والتسامح المفرط: يقصد بأسلوب التدليل والتسامح permissiveness تشجيع الطفل على تحقيق رغباته بالشكل الذي يريده ، كالدفاع عن أخطائه ، وعدم معاقبته على هذه الأخطاء وتلبية معظم طلباته بسهولة ويسر . وغالباً ما يؤدي هذا الأسلوب إلى انحراف الأبناء ،

حيث يأتي الطفل بكثير من السلوكيات التي تؤدي الآخرين أو يرتكب كثيراً من الحوادث والجرائم ، حيث يشعر الطفل بعدم وجود أي ضوابط تحكم سلوكياته

هـ- إثارة الألم النفسي: يتضمن هذا الأسلوب تحقير الطفل في كل مناسبة والتركيز على إظهار أخطائه حتى ولو كانت بسيطة ، أو ازدراءه أمام الآخرين. وغالباً ما يرتبط هذا الأسلوب بنمو شخصية متردة ، تتسم بعدم الثقة بالذات والخجل من مواجهة الآخرين.

و- الأسلوب الديمقراطي الدافئ:

يشير هذا الأسلوب إلى تقبل الوالدين للطفل، وتشجيعه على التعبير عن رأيه ، وتشجيعه على تحمل المسؤولية . والوالدان اللذان يتسمان بالدفء في معاملتهما لأولادهم يكونوا عادة ودودين ، ولا يستخدمون العقاب البدني إلا قليلاً

، ويكثرون من استخدام التفسيرات عند مناقشة أبنائهم وعند التهذيب ، وغالباً ما يرتبط هذا الأسلوب بنمو شخصية ناجحة للطفل وقادرة على تحمل المسؤولية.

وبالإضافة إلى الأساليب السابق ذكرها فهناك أساليب أخرى ، مثل أسلوب التمييز بين الإخوة ، وعدم الاتساق بين الوالدين في المعاملة ، والتذبذب (وهو عدم استقرار الوالد أو الوالدة في استخدام أساليب الثواب والعقاب ، فما يثاب الطفل عليه في موقف يعاقب عليه في موقف آخر).

وعلى الرغم مما كشفت عنه كثير من البحوث عن وجود ارتباط بين أساليب معاملة الوالدين وظهور سمات معينة في الشخصية لدى الطفل على النحو الذي شرحناه سابقاً . مع ذلك فيجب أن نأخذ الحذر في تعميم هذه النتائج ، ذلك أن الدراسات الارتباطية لا تكشف عن علاقة سببية بحيث نقول إنه إذا حدث « أ » لا بد وأن يحدث « ب » . فالعلاقة بين الوالدين والطفل هي علاقة ديناميكية لا تسير في اتجاه واحد ، بل يتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه ، وهذا ما كشفت عنه بعض النماذج الحديثة في علم النفس الارتقائي والمعروفة باسم النماذج الديناميكية الخاصة بأساليب التنشئة الاجتماعية.

4-الأخوة: يتعلم الطفل العديد من طرق التعامل مع الآخرين وأنماط الولاء والمساعدة والحماية من إخوته. وتؤدي العلاقات المنسجمة بين الإخوة - والخالية من تفضيل طفل على آخر - إلى النمو النفسي السليم للطفل وإلى إشباع حاجاته النفسية.

وبالإضافة إلى طبيعة العلاقة التي تكون بين الطفل وإخوته ، نجد أن عدد الإخوة والأخوات ، ترتيب الطفل الميلادي في الأسرة ، جنس الإخوة ، من العوامل التي تؤثر على نمو الطفل. فالملاحظة العامة أن الأطفال ممن لهم إخوة تتوفر فيهم سمات الذكورة ، وكذلك البنات ممن لهم إخوة ذكور إذا ما قورن بالبنات ممن لهم أخوات ، بمجدهن أكثر عدوانية وأكثر طموحاً ويتفوقن في اختبارات القدرات العقلية.

كذلك فإن الترتيب الميلادي للطفل من شأنه أن يؤثر في تطور ونمو شخصيته فيما بعد . فالطفل الأول يلقي أكبر قدر من الاهتمام والرعاية والمحبة من الوالدين ، وتكشف البحوث عن أنه في أسر الطبقات المتوسطة نجد أن الطفل الأول يكون أكثر ميلاً للتوحد مع الوالدين من إخوته التاليين له في الميلاد ، كما يميل الطفل الأول إلى اكتساب قيم الوالدين بدلاً من قيم الأقران . كذلك يكون أكثر إنجازاً ، أما الأطفال من أصحاب المراكز المتأخرة فإنهم يواجهون موقفاً أسرياً مختلفاً ، حيث يتفاعلون منذ البداية مع الإخوة وليس مع الوالدين ، ولذلك يقوم هؤلاء الإخوة بدور المرشد أو النموذج الذي يمكن التوحد معه . وغالباً ما يشعر الطفل الأخير بشيء من القصور بالمقارنة بإخوته الأكبر سناً ، حيث يرى نفسه أقل كفاءة ، وينخفض لديه الدافع إلى الإنجاز.

ولا يقتصر تأثير ترتيب الطفل الميلادي على نمو شخصية الطفل وتطوره. الاجتماعي فحسب ، بل يمتد ليشمل مجالاً آخر مثل الذكاء. وقد كشفت الدراسات الحديثة عن وجود معاملات موجبة ودالة بين ترتيب الطفل الميلادي وبين نسب ذكاء الأطفال ، حيث يميل الطفل الأول إلى أن يكون أكثر ذكاء من الطفل الأخير .

5- المدرسة: تعتبر المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية ونقل الثقافة العامة وتوفير الظروف المناسبة للنمو جسدياً وعقلياً واجتماعياً . وعندما يبدأ الطفل تعليمه بالمدرسة يكون قد قطع شوطاً لا بأس به في التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة ، فهو يدخل المدرسة مزوداً بالكثير من المعايير والقيم الاجتماعية . وتبدأ المدرسة في توسيع الدائرة الاجتماعية للطفل ، حيث يلتقى بجماعة جديدة هي جماعة الرفاق ، بالإضافة إلى دور المدرس الذي يلعب دور البديل عن الوالدين خارج الأسرة .

(أ) المدرس يعتبر المدرس هو أول الأشخاص الراشدين خارج نطاق الأسرة الذين يلعبون دوراً رئيسياً في حياة الطفل الصغيرة. ويؤثر المدرس في الطفل عن طريق تقديم القدوة وتشجيع وتدعيم بعض الاستجابات المعينة عند الطفل . وخصائص شخصية المدرس من شأنها أن تؤثر على الأسلوب الذي يتعامل به مع تلاميذه ، وفي طريقة تهيئته لهم. وهذا بدوره يؤثر في اتجاهات التلاميذ نحو المعلم . وتشير بعض الدراسات إلى أن الأطفال يستجيبون بشكل مختلف حسب اختلاف نمط شخصية المعلم. فتلاميذ المدرسين الذين يتسمون بالمرونة في التفكير والديمقراطية في ما المعاملة كانوا أكثر اهتماماً وميلاً وانغماساً في أنشطة الصف الدراسي ، وذلك إذا قورنوا بتلاميذ المعلمين التسليطيين الذين يتسمون بالعدوانية.

وعلى الرغم من أن تأثير المعلم يكون من النوع غير المقصود حيث يؤثر على شخصية تلاميذه عن طريق عملية التوحد - غير أن المدرس يمكن أن يكون أداة فعالة في تعديل سلوك تلاميذه إذا ما اشتركوا في برامج خاصة تقوم على قوانين مبادئ التعلم وتعديل السلوك.

(6) الأقران: تعرف جماعة الأقران بأنها بنية اجتماعية تتسم بعدد من الخصائص الاجتماعية الموجودة في عملية التطبيع الاجتماعي للطفل ، حيث تتسم بتقارب الأدوار الاجتماعية بين أفرادها ، ووضوح المعايير السلوكية بها ، ووجود اتجاهات مشتركة بين أفرادها

وتوفر جماعة الأقران فرصة يتعلم فيها الطفل كيف يتعامل مع أقرانه وأصدقائه ، وكيف يتصرف حين يواجه العدوان من غيره. كذلك يمكن للأقران أن يساعد أحدهم الآخر في حل مشكلاته الشخصية، ذلك أن مشاركة الطفل أقرانه في مشكلاته وصراعاته ومشاعره قد يعود بالكثير من الطمأنينة على الطفل. كذلك يتأثر الطفل بما يسود بين أقرانه من قيم واتجاهات واهتمامات ... كذلك فإن مفهوم الطفل عن نفسه يتأثر إلى حد كبير بجماعة الأقران التي ينتمى لها الطفل. فالولد الذي تقبله جماعة . الأقران يشعر بالرضا عن نفسه على حين أن الولد الذي ترفضه الجماعة قد لا يشعر بالرضا.

ويتأثر انصياح الطفل إلى جماعة الأقران بعدد من المتغيرات ، منها عمر الطفل . فقد كشفت بعض الدراسات أن أطفال ما قبل المدرسة لا يميلون كثيراً لمسايرة معايير الجماعة، على حين أن سلوك المسايرة يزداد خلال سنوات الطفولة المتوسطة ... وكذلك يؤثر جنس الطفل في مدى انصياحه الجماعة الرفاق ، فالبنات أكثر انصياحاً لضغوط جماعات الأقران من الأولاد .. كما تلعب سمات الشخصية دوراً في مدى

انصياح الطفل الجماعة الأقران ... فالطفل الاتكالي ، القلق ، الذي لا يحسن تقدير ذاته ، أميل إلى الانصياح من الطفل المستقل.

ثانياً: البيئة الفيزيائية والثقافية العامة للطفل

بالإضافة إلى العوامل النفسية والاجتماعية التي سبق شرحها - والتي ترتبط بدور أفراد الأسرة والمدرسة وأثرهم في نمو شخصية الطفل - فهناك عوامل أخرى ترتبط بالأسرة والمدرسة من حيث أنها هيكل اجتماعي وفيزيقي . من هذه العوامل مثلاً:

اتساع المنزل الذي يسكن فيه الطفل ، ومدى ملاءمته لعدد أفراد الأسرة ، نظافة المنزل وترتيبه ، توفير ألعاب مناسبة للطفل لكي يمارس هوايته . كذلك تلعب بعض الخصائص الفيزيائية للمدرسة دوراً مهماً في النمو النفسي السليم للطفل . من هذه الخصائص مثلاً : حجم المدرسة ، كثافة التلاميذ داخل الفصول ، وجود مكتبة يمضى فيها الطفل بعض الوقت ، توفير ملاعب الممارسة بعض الأنشطة الرياضية ... إلخ.

1-المؤسسات الثقافية كوسائط تربية: يوجد في المجتمع العديد من المؤسسات الثقافية التي تعمل كوسائط تربية ، حيث تقدم العديد من وسائل الضبط والتشكيل والتوجيه لسلوك أفراد المجتمع بوجه عام وسلوك الطفل بوجه خاص . وتتنوع المؤسسات لتشمل المكتبات العامة ، النوادي ، المسرح ، السينما ، الإذاعة والتلفزيون. فكل هذه المؤسسات تساهم بشكل أو بآخر في تشكيل وتوجيه سلوك الطفل بما تقدمه من قيم ايجابية ، أو سلبية ، ضمنية أو صريحة عبر وسائطها المختلفة . ونظراً لتعدد هذه المؤسسات ، فسوف نركز حديثنا عن دور التلفزيون في تنشئة الطفل ، حيث إنه هو الوسيلة الأكثر تأثيراً والأشد جاذبية للطفل.

2-دور التلفزيون في تنشئة الأطفال:

يلعب التلفزيون بما يقدمه من برامج ومسلسلات وإعلانات دوراً مهماً وحاسماً في تنمية ثقافة الطفل بوجه عام ، وفي توسيع مداركه العقلية وتكوين شخصيته بوجه خاص.

ومن أوائل الموضوعات التي درست في علم النفس حول أثر التلفزيون في تشكيل سلوك الأطفال : موضوع العنف والعدوان وتعتبر دراسات بندورا من أوائل الدراسات في هذا المجال. ففي دراسة أجراها بندورا وزملاؤه في مطلع الستينات على مجموعة من الأطفال في سن ما قبل المدرسة ، قدمت لهؤلاء الأطفال دمية مصنوعة من البلاستيك تتعرض للضرب والعنف ، وبعد ذلك تم نقل هؤلاء الأطفال إلى حجرة

والطفل لكي تشكل انواعاً مختلفة من سلوك التعلق بين الأم ورضيعها. ومن ثم فإن سلوك الأمومة والتعلق ما هما إلا نتاج التفاعل المستمر بين العوامل البيولوجية والبيئية

خصائص النمو النفسي في مرحلة الطفولة الاولى 2-6 سنوات

تعرف مرحلة الطفولة الاولى على انها:

الفترة المبكرة من حياة الانسان التي يعتمد فيها الطفل على والديه اعتمادا كلياً في كل ما يحفظ حياته، وفيها يتعلم ويتمرن للفترة التي تليها.

ويقول علماء النفس ان الطفل الذي يمر بطفولة سوية له حظوظ كبيرة في عبور مرحلة المراهقة بسلام.

وتعتبر مرحلة الطفولة عموماً لدى الانسان من اطول مراحل الطفولة بين الكائنات الحية حيث انها تمتد من سن الميلاد حتى سن 12 سنة.

اما مرحلة الطفولة المبكرة من سنتين الى 6 سنوات وفيها يكتسب الطفل المهارات الاساسية مثل المشي ، الجري القفز....مما يحقق له قدراً كبيراً في الاعتماد على نفسه، وفيها يسير الطفل نحو الاستقلالية، وتتحدد معالم شخصيته الرئيسية ليصبح قادراً على الاعتماد على نفسه في اعماله وحركاته بقدر عالي من الثقة والتلقائية.

وكما هو معروف لكل مرحلة عمرية مجموعة من الخصائص يجب على الوالدين والمربين معرفة هذه الخصائص من اجل ترشيدها وتهذيبها، مع الاخذ بعين الاعتبار ان هذه الخصائص تدل على ان هذا الطفل ينمو نمواً سوياً وهي تكون- يعني الخصائص- مشتركة بين الولد والبنت ولكن بدرجات ومن اهمها :

1 - كثرة الحركة وعدم الاستقرار: فالحركة الكثيرة للطفل والتنقل من مكان لآخر واللعب الدائم وعدم الاستقرار، والصعود والنزول وغير ذلك من التصرفات يزيد من خبرة الطفل وينمي ذكائه.

2 - شدة التقليد: فالطفل بطبيعته يقلد الكبار ممن حوله في الحسن والقبيح فالاب الذي يصلي يحاول الطفل تقليده، وقد يكون مدخناً فيحاول تقليده كذلك، والام تسلم على اقربائها فتقلد البنت ذلك...

3- العناد: لاعجب من عناد الطفل لانه يتصرف على طبيعته ولا يجب اتهامه بتعمد ذلك مع ابويه، بل تشجعه وتحفزه على فعل النقيض ونذكر له القصص والحكايات التي تنفر منه هذه السلوكيات مثال: تشبيه المعاند بالشیطان الذي عصى الله ولم يطع او امره فغضب الله عليه.

4 - عدم التمييز بين الصواب والخطا: فقد يشعل عود كبريت فتحرقه النار، وقد يضع يده في الماء الساخن وهولاً يعرف ضرر ذلك، فلا يعاقب الطفل كالكبير المدرك لان عقله لم ينضج بعد والصواب ابعاده عن كل ما يضره.

5 - كثرة السؤال: فهو يسأل عن اي شيء وفي اي وقت وبأي كيفية، وقد تكون اسئلته محرجة احياناً، لكن ما يجب ان نحذره هو الكذب على الطفل او الاجابة بما لا يحتمله عقله، او صده عن السؤال.

6 - الذاكرة القوية: يحفظ الطفل كثيراً من غير فهم لان ذاكرته نقية وبيضاء، ويجب على المربي استغلال ذلك في تعليمه للمهارات التي تناسب هذا السن او تحفيظه للقران الكريم مثلاً....مع مراعاة ان يكون اسلوب التحفيظ شيقاً

- 7 - حب التشجيع:الطفل يحب التشجيع كثيرا بنوعيه المادي والمعنوي، فتستغل هذه الخاصية في تعديل بعض السلوكات المزعجة..
- 8 - حب اللعب والمرح: وهذا ليس عيبا فيه بل وسيلة لاكتساب المهارات، وتجميع الخبرات وتنمية الذكاء ويعتبر اللعب افضل وسيلة لتنمية قدرات الطفل.
- 9 - حب التنافس: تنمية هذه الخاصية سيكون حتما عاملا مهما لزيادة التفوق والابتكار لدى الطفل.
- 10 - الخيال الواسع: لا تنزعج عندما تجد الطفل جالسا يفكر في شيء ما لان الخيال يغلب على تفكيره وهذا ما يسمى باحلام اليقظة وهذا راجع لعدم نضج عقله.
- 11 - الميل لاكتساب مهارات: فالاطفال قبل 6 سنوات يحاول اكتساب بعض المهارات ممن حوله(كالأب النجار والام الطباخة)
- 12- النمو اللغوي السريع: في هذه المرحلة من العمر يصبح الرصيد اللغوي للطفل في زيادة مستمرة مع مرور الوقت.
- 13 - الميل للفك والتركيب: يعتبره البعض نوعا من التخريب لكنه أمر طبيعي لذا يجب لدى يجب أن يؤتى له بالألعاب متخصصة في ذلك في ذلك القطار والمكعبات والعجيب والأوراق المركبة.
- 14 - حدة الانفعالات: يثور الطفل وينفعل بدرجة واحدة للأمور التافهة ومن هذه الانفعالات: الخوف ، الغضب،، الغيرة...

جوانب النمو في مرحلة الطفولة الأولى من 2 إلى 6 سنوات

1-النمو الجسدي :

الأسنان : تستمر الأسنان في الظهور ويكتمل عدد الأسنان المؤقتة وتظل الأسنان اللبنية حتى سن 6 إلى 7 سنوات إلى أن تستبدل بالأسنان الدائمة ومع ذلك فاءن اسنان الطفل اللبينية في حاجة ماسة إلى الرعاية حتى لا يصيبها التسوس

الرأس : يصل حجم الرأس في هذه المرحلة الى حجم راس الراشد ومع ذلك فان الراس يكون ابطئ من المراحل السابقة

الجذع : ينمو الجذع بدرجة متوسطة ويستمر نموه بحيث يصبح الطفل اكثر استقامة واكل استدارة ويبدأ الطفل بالتخلص من الدهون التي تراكمت في الفترة السابقة ويتم ذلك من خلال عمليات الهدم والبناء التي يتعرض لها الأنسجة الدهنية.

الوزن: يزداد وزن الطفل بمعدل 1 كلغ في السنة ويكون معدل الوزن اقل من معدل الطول ويكون وزن الذكور اثقل من وزن الاناث بقليل...في هذه المرحلة حيث يصل الوزن الى 12 كلغ في بداية المرحلة لكلى الجنسين وفي نهاية هذه المرحلة يكون متوسط وزن الذكور 20 كلغ .

الطول : يصل طول الطفل في نهاية السنة الثالثة الى حوالي ثم يزداد ببطء نسبي بمعدل من 6-9 سم خلال الفترة الموالية ويكون معدل الطول اكبر من معدل الوزن في هذه المرحلة ويكون الذكور أطول من الإناث في هذه المرحلة.

2-النمو الانفعالي : السلوك الانفعالي:تنمو لدى الطفل في هذه المرحلة مختلف الانفعالات وتكون شديدة ومبالغاً فيها ومتنوعة ومتناقضة وتسمى هذه المرحلة بمرحلة عدم التوازن وتظهر على الطفل علامات شدة الانفعالات في صورة حدة المزاج وقوة الغيرة وشدة الخوف...كما يثور على القيود التي تفرض عليه من الأبوين.

ب - انفعال الحب:في البداية يتركز انفعال الطفل على ذاته بحيث يكون هو موضوع الحب من الآخرين ومن نفسه.

وحبه للوالدين ما هو إلا استثارة لهما له حيث يلبيان له كل رغباته بمعنى أن الحب لدى الطفل يكون حسب معاملتهم له.

ج- الخوف: تزداد مبررات الخوف في هذه المرحلة لقدرة الطفل على إدراكها فيخاف بالتدرج من الحيوانات والظلام والخوف ويمكن أن تكون هذه المخاوف اكبر عائق لدى الطفل في نموه السليم.

د-الغضب: تظهر نوبات الغضب المصحوب بالاحتجاج اللفظي والأخذ بالثار أحياناً ويصاحبها أيضاً العناد والمقاومة وخاصة عند حرمان الطفل من إشباع حاجاته.

هـ-الأحلام المزعجة: تنتاب الطفل في هذه المرحلة أحلام مزعجة بدرجة اكبر نسبيا من أي مرحلة أخرى ويكون نومه مضطربا.

و-الغيرة: تحدث عادة بسبب تحويل الاهتمام لشخص آخر بعد أن كان الطفل محور الاهتمام مثلا : ميلاد طفل جديد

3- النمو العقلي:

1-المفاهيم: في هذه المرحلة تتكون مفاهيم مختلفة عند الطفل:الزمن،المكان،الاتساع،العدد...ويتعرف أيضا على الاشكال الهندسية ومعظم المفاهيم التي يستطيع الطفل إدراكها تكون حسية،أما المفاهيم المجردة فلا يستطيع إدراكها إلا فيما بعد.

-الذكاء: من مظاهر النمو العقلي الاستطلاع والاستكشاف ويتمثل ذلك في كثرة استطلاع الاطفال عن الاشياء واسبابها ويرى بياجيه أن الذكاء يكون تصوريا في هذه المرحلة تستخدم فيه اللغة بوضوح ويتصل بالمفاهيم و الادراكات الكلية .
التعلم: تزداد قدرة الطفل على التعلم عن طريق الخبرة والمحاولة والخطأ وعن طريق الممارسة والاستفادة من خبرات الماضي.

-الانتباه: لا يمتلك الطفل في بداية هذه المرحلة القدرة على التركيز والانتباه لكنها تزداد فيما بعد تدريجيا.

-الخيال:تتميز هذه المرحلة بصفه عامة باللعب الخيالي ويطغى خيال الطفل على الحقيقة لذلك نجد الفتيات يملن للعب بالدمى والقيام ببعض الأدوار الاجتماعية وتقمصها مثلا دور الأم .

-التذكر: في هذه المرحلة يتذكر الطفل العبارات السهلة والمفهومة أكثر من تذكره للعبارات الغامضة-في بداية المرحلة-كذلك يتذكر الأسماء والأشخاص والأماكن والأشياء...الخ

- التفكير :ويسمى طور التفكير في هذه المرحلة باسم طور ما قبل العمليات وهو ينقسم إلى قسمين:

-فترة ما قبل المفاهيم: وهي من سنتين إلى أربع سنوات،ويظهر في هذه المرحلة خاصية التمرکز حول الذات، بمعنى انه لا يستطيع أن يتخذ وجهة نظر الآخرين في أحكامه أو في إدراكه للأشياء.

فترة التفكير الحدسي وفيها يتحرر الطفل من بعض عيوب المرحلة السابقة ليعتمد في تفكيره بشكل اكبر على حواسه وتخيله أكثر من شيء اخر.

4-النمو الحركي:

العضلات: يسيطر الطفل على العضلات الكبيرة وبالتدريج يستطيع السيطرة على عضلاته الصغيرة ويكتسب مهارات حركية جديدة : كالجري ، القفز،التسلق،ركوب الدراجة ،وبعض المهارات والحركات اليدوية كالكتابة والرسم...

ويعتمد الطفل في تعلم هذه المهارات على مستوى نضجه وتعلمه واستعداداته والفرص المتاحة له والتوجيه الذي يلقاه،ومن الملاحظ أن الأطفال اللذين يعيشون في بيئات فقيرة يكتسبون المهارات مبكرا مقارنة بالأطفال اللذين ينشئون في ظروف أحسن.

5-النمو الاجتماعي:تتسع دائرة العلاقات والتفاعل الاجتماعي لدى الطفل ،ويزداد اندماج الطفل في الكثير من الأنشطة، كما أن تعلم الطفل لمختلف المهارات والكلمات والمفاهيم الجديدة تهيؤه للاندماج أكثر في محيطه الاجتماعي.

النمو الاجتماعي في مرحلتى الطفولة المبكرة والمتأخرة

يمثل مفهوم التنشئة الاجتماعية إحدى الدعائم التي تناول الباحثون من خلالها ارتفاع السلوك الاجتماعي لدى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة وفي فترة وغالبا ما يبدأ الآباء عملية التنشئة الاجتماعية لأبنائهم مع بداية العام الثاني لهم ، حيث يبدأون في تعليمهم أنماط السلوك والقيم والدوافع التي تتناسب مع المجتمع الذي يعيشون فيه. وفي معظم الأحيان نجد أن التنشئة الاجتماعية المبكرة لا تركز على تعليم الطفل أمورا إيجابية يفعلها ، بل تركز على كف أنواع معينة من النشاط يقوم بها، مثل كف الطفل عن لمس الأشياء الساخنة ، عدم تبليل ملابسه ، عدم تمزيق الكتاب ، عدم وضع كل شيء في فمه .. إلخ..

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

يشير مفهوم التنشئة الاجتماعية في معناه العام إلى العمليات التي تساعد الفرد على كيفية الاستجابة للمؤثرات الاجتماعية المختلفة وذلك لكي يتوافق مع الآخرين. كما يشير هذا المفهوم في معناه الخاص إلى نتائج العمليات التي يتحول بها الفرد من كائن عضوي بيولوجي إلى شخص اجتماعي. وهناك العديد من التعريفات التي قدمت مفهوما للتنشئة الاجتماعية مثلا:

- 1 أنها عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد من خلال تفاعله مع الآخرين أدواره الاجتماعية المختلفة بحيث يتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار.

- أنها عملية نمو يتحول الطفل من خلالها من كائن حي يعتمد على غيره متمركز حول ذاته إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وكيفية تحملها .

- أنها عملية تشكيل سلوك الفرد من خلال استدخال ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، في بناء شخصيته الميكانيزمات الرئيسية في عملية التنشئة الاجتماعية يستخدم الوالدان بعض العمليات الخاصة في تربية وتنشئة أطفالهم ، منها ما هو مباشر ، ومنها ما هو غير مباشر ، من هذه الميكانيزمات:

1 - استخدام المكافاة والعقاب:

يستجبه الآباء والأمهات منذ البداية إلى تدريب أبنائهم على المهارات الاجتماعية التي يريدونها ، عن طريق تدعيم استجابات معينة ومعاقبة استجابات أخرى . فالاستجابات التي تثاب تزداد قوة ، ويزداد احتمال ظهورها . أما الاستجابات التي تعاقب فإنها تصبح أقل قوة ولا تظهر إلا قليلا وقد تختفي. كذلك فإن الطفل أقرب إلى أن يعمم الاستجابة التي أثبتت فيستخدمها في مواقف أخرى ... وتفيدنا نظريات التعلم بأن الثواب والعقاب لا يقتصر أثرهما على الاستجابات المكافاة أو المعاقبة فحسب ، بل يعمم أثرهما على الشخصية ككل ، حيث تتكون عادات سلوكية عامة كما تتبلور سمات واتجاهات وقيم الفرد. فمثلا تشجيع الآباء طفلها على

الاستجابات الاتكالية ، كالبكاء ، التعلق ، البقاء قريبا من الوالدين استجاء للمساعدة ، يقوى الميل لدى الطفل لكي تكون شخصيته اتكالية.

2 - الملاحظة:

لا يكفى الثواب والعقاب فحسب التفسير كيفية اكتساب الطفل للعادات والسمات والدوافع الخاصة به. فالأطفال بإمكانهم أن ينموا أنماطا سلوكية بمجرد ملاحظة بعض الكبار المحيطين بهم يقومون بها. أى دون أن تكون هناك حاجة إلى تدعيم هذه الاستجابات سلبا أو إيجابا. فملاحظة الطفل الصغير لكيفية انشغال أخيه الأكبر بالرسم والتلوين تجعله يقوم بتقليده . كذلك فإن مشاهدة سلوك العدوان والعنف بكثرة أمام الطفل من صديقه أو أخيه ، أو من شخصيات كرتونية قد تؤدي به إلى تقليد هذا السلوك.

من التجارب التي أجريت في هذا الصدد تجربة تم فيها ادخال الأطفال فرادى في حجرة، حيث كانوا يشاهدون شخصا يضرب ويركل دمية مصنوعة من المطاط وبعد خروج الشخص من الحجرة كان الطفل يبقى فيها وحده مع الدمية، وكان هناك ملاحظون لا يشاهدهم الطفلى يقومون بتسجيل استجابات العدوان المماثلة لتلك التي صدرت من القدوة. أما المجموعة الضابطة من الأطفال فكانوا يدخلون نفس الحجرة مع الدمية دون مشاهدة هذا النموذج الذي تصدر عنه استجابات العنف. اتضح من هذه التجربة أن الأطفال الذين شاهدوا هذا النموذج العدوانى قاموا بتقليد الكثير من استجابات العدوان ، في حين كانت استجابات المجموعة الضابطة مختلفة.

غير أن تكوين شخصية الطفل واكتسابه العديد من السمات والأنماط السلوكية ، لا يمكن تفسيرها ببساطة من خلال الرجوع إلى ميكانزمات الثواب والعقاب والملاحظة . ذلك أن تشكيل السلوك الاجتماعى للفرد ونمو شخصيته تتدخل فيها ميكانزمات أخرى أكثر تعقيدا مثل ميكانزم التوحد.

3- التوحد:

يشير مفهوم التوحد. إلى عمليتين الأولى تتضمن اعتقاد الطفل بأنه يشبه شخصا آخر، والثانية تتضمن أن الطفل يشعر بمشاركته الآخر في عواطفه وانفعالاته. وغالبا ما يكون هذا الشخص هو أحد الوالدين. ويتضمن التوحد عملية تتعدى مجرد التعلم البسيط الذي يحدث عن طريق الملاحظة والتقليد . ذلك أن التوحد يعنى أن الطفل يتبنى نمطا كليا للسمات والدوافع والاتجاهات والقيم التي توجد لدى الشخص المتوحد معه. أما التقليد فإنه قد لا يتعدى مجرد قيام الطفل باستجابة مماثلة لتلك التي اقترحها النموذج ، كذلك فإن السلوك المتعلم عن طريق الملاحظة والتقليد يكون من السهل تغييره ، أما السلوك الذي يتمثله الطفل عن طريق التوحد فإنه يكون ثابتا نسبيا.

إن توحد الطفل مع أحد الوالدين يحقق للطفل الحاجات الأساسية التي يسعى إلى تحقيقها ، فهو من ناحية يمكن أن يكون مصدرا للشعور بالأمن الذي يفتقر إليه الطفل في هذه المرحلة. ذلك أن الطفل يشعر أنه قد

أدمج في ذاته قوة وكفاءة هذا الوالد ، ومن ثم فإن المشاركة مع الوالد فيما يملكه من إنجازات ومن قوة وكفاءة سوف تزيد من شعور الطفل بسيطرته على البيئة وبشعوره بمزيد من الأمان، وباختصار فإن التوحد يشعر الطفل بأن الوالد معه حتى ولو لم يكن معه جسديا . هذا الارتباط بالوالد حتى وهو بعيد يزيد من اتساع المجالات والمواقف التي يشعر فيها الطفل بالأمان.

أساليب التنشئة الاجتماعية

تلعب أساليب معاملة الوالدين دورا هاما في تنشئة أطفالهم وفي نمو شخصياتهم. فالأوجه اللاسوية في التنشئة غالبا ما ترتبط بنتائج سلبية في نمو شخصية الأبناء والعكس صحيح.

مجالات التنشئة الاجتماعية:

يبدأ معظم الآباء عملية التنشئة الاجتماعية ابتداء من العام الثاني للطفل، حيث يبدأون في تعليم الطفل السلوك الملائم حضاريا. ويميل الآباء إلى تركيز التدريب على المجالات الأكثر أهمية. وتتركز التنشئة الاجتماعية المبكرة على تعليم الطفل الكف عن القيام بأنواع محددة من الأنشطة وذلك أكثر من تعليم الطفل أموراً إيجابية يفعلها ، من ثم فإن الطفل يتعلم النواهي مثل : لا تمزق الكتاب ، لا تلمس الموقد .. إلخ . ومن أهم المجالات التي تلعب التنشئة الاجتماعية دورا فيها ما يلي:

1- الاستقلال الذاتي:

يقول إريكسون Erikson إن الشعور بالاستقلال الذاتي أو السيطرة على الذات ، ذلك الشعور الذي يكتسبه الطفل في سنوات عمره المبكرة يكون عاملا محددًا وهاما في نشأة الشعور بالاعتزاز الشخصي وبالنوايا الحسنة تجاه الآخرين.

فالطفل في سنوات عمره المبكرة يبدأ في اكتشاف قدرات ومهارات جديدة له كل يوم. فتراه يعتمد على نفسه في المأكل ، والملبس ، الصعود والنزول على السلالم ... إلخ . دور الوالدين في هذه العملية هو مساعدة الطفل أن ينشأ عنده الشعور بالاستقلال من غير أن ندع الطفل يتجاوز قدراته. كذلك فإن منع الطفل من استكشاف البيئة المحيطة به قد يؤدي به إلى الإحساس بالإحباط والضيق . لذلك يجب على الوالدين أن يكونوا متسامحين ويتيحوا للطفل قدرا معقولا من حرية الاستكشاف حتى يكون واثقا بذاته وقادرا على أن يتناول المواقف الجديدة من غير قلق.

2- العدوان : من الصعب تقديم تعريف إجرائي لمفهوم العدوان ، حيث تختلف مظاهر السلوك العدواني باختلاف عمر الطفل وباختلاف جنسه وباختلاف الإطار الثقافي والحضاري الذي يعيش فيه. فالأطفال في فترة ما قبل المدرسة غالبا ما يظهر لديهم السلوك العدواني في صورة نوبات من الغضب أو الركل بالأرجل أو إلقاء أنفسهم في الأرض وذلك بدرجة أكبر مما يفعله الأطفال الأكبر سنا الذين يظهر العدوان عليهم في صورة عدوان لفظي أو اجتماعي بدلا من العدوان الجسدي. كذلك يختلف معنى العنوان باختلاف جنس الطفل ،

فاستخدام القوة الجسدية من جانب الذكور قد يفسر على أنه سلوك لتأكيد الذات، بينما استخدام القوة الجسدية عند البنات يفسر على أنه سلوك عدواني.

ونظرا لشيوع مظاهر العدوان عند الأطفال والكبار على اختلاف أجناسهم ، فقد حرص الكثير من علماء النفس على تقديم تفسيرات نظرية لنشأة السلوك العدواني، ونعرض فيما يلي لأهم النظريات المفسرة للسلوك العدواني.

النظرية الإيثولوجية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن العدوان له أساسه البيولوجي ، حيث تفترض النظرية أن الكائن الحي يولد ولديه استعداد فطري أولى للقيام بالعدوان ، وتعتبر بحوث لورنز التي أجراها على الحيوانات من أوائل البحوث التي أجريت في هذا الصدد. يرى لورنز أن العدوان ما هو إلا وسيلة دفاعية تصدر عن الكائن الحي للمحافظة على البقاء. فتبعا لنظرية النشوء والارتقاء التي قدمها دارون في نهاية القرن التاسع عشر يرى

أصحاب النظرية الإيثولوجية أن ميكانزمات السلوك العدواني بدأت تنمو وتتطور وتدعم لدى الكائن الحي وذلك في محاولته للتكيف مع البيئة التي يعيش فيها) 1997 (Birch، ويظهر ذلك في كثير من المواقف التي يتعرض لها الكائن الحي عند الاعتداء على طعامه أو مسكنه أو ممتلكاته، ويرى أصحاب النظرية الإيثولوجية أن الإنسان أيضا يمتلك مثل هذه النزعات البيولوجية للعدوان. غير أن قدرة الإنسان على كف هذه النزعات العدوانية تتوقف على مدى قدرته على استخدام قدراته العقلية في التحكم في هذه النزعات. وتؤكد النزعات البيولوجية للسلوك العدواني عند الإنسان ما كشفت عنه البحوث الفسيولوجية الحديثة لتشريح المخ ، حيث وجد أن هناك أجزاء معينة في الجهاز العصبي تؤدي استثارتها إلى زيادة السلوك العدواني عند الكائن الحي ، وتعرف هذه المنطقة باسم amegdala ، وعلى الرغم من أهمية الجانب البيولوجي للسلوك العدواني غير أن هناك العديد من الدراسات والبحوث التي كشفت عن الطبيعة الاجتماعية للسلوك العدواني حيث يرتبط ظهور هذا السلوك بالظروف الاجتماعية والنفسية التي ينشأ فيها الفرد.

(ب) نظريات التعلم الكلاسيكية: يرى أصحاب نظريات التعلم الكلاسيكية - وعلى رأسها النظرية السلوكية لواطسون - أن سلوك العدوان عند الطفل مكتسب من البيئة التي يعيش فيها ، ومن ثم فهم يرفضون النزعات الفطرية الأولية التي توجه سلوك الطفل نحو العدوان.

من الفروض الرئيسية التي تفترضها النظرية السلوكية لتفسير السلوك العدواني هو أن الإحباط يؤدي إلى العدوان وينشأ الإحباط في العديد من المواقف التي يعاني فيها الفرد من عدم تحقيق أهدافه ، ومن ثم يرتبط مفهوم العدوان في هذه النظريات بمفهوم الدوافع والحاجات التي تنشأ لدى الفرد نتيجة حرمانه من شيء معين أو الشعور بعدم تحقيق هدف يسعى إليه. كذلك تفترض نظريات التعلم الكلاسيكية أن عدم إشباع الإنسان لدوافعه الداخلية سواء كانت فسيولوجية أو نفسية فإن ذلك يؤدي إلى حالة من التوتر والقلق والإحباط يعبر عنها الفرد في صورة سلوك عدواني..

غير أن ظهور سلوك العدوان في مواقف أخرى غير مواقف الإحباط جعل بعض الباحثين يفكرون في تقديم تفسيرات أخرى للسلوك العدواني
نظرية التعلم الاجتماعي:

بينما تؤكد نظريات التعلم التقليدية أهمية الدوافع الداخلية للفرد في نشأة السلوك العدواني، فإن نظرية التعلم الاجتماعي والتي تمثل امتداداً للنظرية السلوكية ترى أن عملية التنشئة الاجتماعية وميكانزمات التعلم الاجتماعي تلعب دوراً هاماً في نشأة السلوك العدواني عند الفرد.
وتعكس بحوث ألبرت بندورا وجيرالد باترسون Gerald Paterson في نشأة السلوك العدواني عند الأطفال هذه الوجهة من النظر.

يرى بندورا صاحب نظرية التعلم الاجتماعي أن هناك ثلاثة محددات لظهور السلوك العدواني عند الطفل . هذه المحددات هي الاستثارة elicitation ، تقليد نموذج modelling ، والتدعيم reinforcement . ويقصد بالاستثارة أو التنبيه تعرض الكائن لبعض المواقف أو المنبهات التي من شأنها أن تستثير سلوك العدوان ، مثل تعرض الفرد الصدمة كهربائية أو التقليل من حجم مكافأة كانت تقدم له من قبل ، أما التدعيم المباشر فيقصد به تدعيم أي سلوك عدواني يصدر عن الطفل بصورة مباشرة . فمثلاً إذا صدر عن الطفل سلوك عدواني نتيجة لحرمانه من شيء ما ثم قام الوالدان بتحقيق ما يريده الطفل فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة تكرار معدل السلوك العدواني. وقد لاحظ بندورا أن آباء الأطفال العدوانيين يدعمون السلوك العدواني لدى أطفالهم بدرجة أكبر من آباء الأطفال غير العدوانيين . المحدد الثالث لظهور السلوك العدواني - في رأى بندورا - هو مشاهدة الطفل النموذج يصدر عنه سلوك العدوان .

كشفت بحوث بندورا أن مشاهدة الأطفال لنماذج عديدة يصدر عنها السلوك العدواني من شأنه أن يدعم هذا السلوك عند الطفل ، فالآباء الذين يستخدمون بكثرة أساليب العقاب البدني مع أطفالهم يميل أطفالهم أن يكونوا أكثر عنفاً وعدوانية . كذلك فإن مشاهدة الأطفال الأفلام العنيفة في السينما والتلفزيون من شأنها أن تؤدي إلى زيادة السلوك العدواني لدى الأطفال.

يمكن تلخيص آراء أصحاب نظريات التعلم الاجتماعي في نشأة سلوك العدوان عند الأطفال بأن البيئة الاجتماعية والنفسية التي ينشأ فيها الطفل تكون بمثابة المحدد الأول لظهور السلوك العدواني عند الأطفال ، وعلى هذا قد تفرز بعض البيئات أطفالاً على درجة عالية من العدوانية حيث يسلك الكبار فيها سلوكاً عدوانياً أو يدعمون سلوكاً عدوانياً أمام أطفالهم.

3- مفهوم الذات: يعتبر مفهوم الذات self concept أو تقدير الذات self esteem من أهم المكونات التي تقوم عليها شخصية الطفل، ويعرف تكوين الذات بأنه تكوين معرفي منظم وموحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات ، والذي يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً لذاته. ويساهم في تكوين هذا الشعور ثلاثة مكونات تتفاعل معا لتعطي الذات الكلي. هذه المكونات هي:

1- الذات المدركة ، وهي فكرة الفرد عن نفسه.

٢ - الذات الاجتماعية ، وهي الصورة التي يعتقد الفرد أن الآخرين يتصورونها

-الذات المثالية ، وهي الصورة المثالية التي يتمنى الفرد أن يصل إليها.

كشفت العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية أن مفهوم الطفل عن ذاته يرتبط إلى حد كبير بنوع العلاقات القائمة بينه وبين الوالدين . فاحترام الوالدين لرأى الطفل ، وتقبلهم له ، يساهم إلى حد كبير في ارتفاع مفهوم الطفل عن ذاته . كذلك كشفت هذه الدراسات أن الأطفال المفتقرين إلى الثقة بالذات كان آباؤهم يعاملونهم بقسوة ولا يقدمون لهم أى توجيه . كذلك اتسمت سياسة هؤلاء الآباء بعدم الاتساق في تأديب وتهذيب أطفالهم. فأحيانا يتصرفون وكأنهم لا يكتثرون بسوء سلوك الطفل وأحيانا يعاقبونه عقابا شديدا.

. ويتطور مفهوم الذات عند الطفل مع تقدمه في العمر ومع تحسن قدرته المعرفية وزيادة تفاعله مع الآخرين واتساع خبراته . ففى البداية لا يدرك الطفل ذاته ككيان مستقل ولكن عند تقلبه على الفراش ووقوعه على الأرض يكتشف الطفل جسمه كشيء مستقل عن سائر الأشياء. وهذا يبدأ إدراكه للذات الجسمية ... وحينما يبدأ الطفل في فهم الكلمات الأولى ويحاول التعبير عن رغباته بالإشارات والحركات ، ومع زيادة حصيلته اللغوية المفهومة والمنطوقة - وذلك في مرحلة ما قبل المدرسة - يعرف الطفل أن له شخصية مختلفة عن الآخرين ويزداد تمركزه حول ذاته... ومع دخول الطفل المدرسة وزيادة تفاعله مع أقرانه يقل تدريجياً تمركزه حول ذاته ويبدأ في تقبل أفكار الجماعة التي ينتمى لها ، ومع دخول مرحلة المراهقة يبدأ في بناء صرحه القيمي الذي يتعدل ويتشكل حسب علاقاته الاجتماعية وحسب أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها في المنزل والمدرسة والمجتمع بأسره .

الذي يتعدل ويتشكل حسب علاقاته الاجتماعية وحسب أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها في المنزل والمدرسة والمجتمع بأسره.

وباختصار يمكن القول بأن مفهوم الطفل عن ذاته هو مفهوم أساسي في بناء شخصيته. كما تلعب أساليب التربية في الأسرة ويلعب المربون وجماعة الرفاق في المدرسة دوراً هاماً في تكوين وبناء الذات لدى الفرد . فالتفاعل الاجتماعي السليم والعلاقات الناجحة تعزز دائماً الفكرة الجيدة السليمة عن الذات. السلوك الاجتماعي الإيجابي.

اهتم الباحثون في الآونة الأخيرة بدراسة مجموعة من أنماط السلوك الاجتماعي الإيجابي التي تنمو من خلال تفاعل الطفل مع الآخرين . من أهم هذه السلوكيات:

سلوك الإيثار : يعتبر الإيثار أحد السلوكيات الاجتماعية الإيجابية التي تهدف في بحملها إلى إفادة الآخرين، ويتكون مفهوم الإيثار من ثلاثة مكونات رئيسية تميزه عن غيره من السلوكيات الاجتماعية الإيجابية الأخرى . هذه المكونات هي:

- غياب المكافأة الخارجية. فالسلوك الإيثاري يكون غاية في حد ذاته لا يصدر عن الطفل لتحقيق منفعة شخصية..

- أنه سلوك تطوعي وإرادي يصدر عن الفرد دون إيعاز من الآخرين.

- يهدف السلوك الإيثاري إلى إسعاد الطرف الآخر وتحقيق منفعته . أحد مظاهر السلوك الإيثاري التي درسها الباحثون في علم النفس الارتقائي هو سلوك المشاركة. وتعرف المشاركة بأنها تقبل الطفل لأن يشاركه غيره فيما يمتلكه دون أن يتوقع عائدا مباشرا أو فائدة مباشرة كشفت بعض الدراسات الارتقائية عن ارتباط سلوك المشاركة بالعمر ، حيث لوحظ أن الأطفال الأكبر سنا أكثر ميلا للمشاركة من الأطفال الأصغر سنا ، وتأخذ المشاركة أشكالا كثيرة منها المشاركة المادية والمشاركة المعنوية والوجدانية.

محددات سلوك الإيثار:

تلعب أساليب معاملة الوالدين للطفل دورا هاما في إكساب الطفل سلوك الإيثار. في الإضافة إلى ما يقوم به الوالدان من تشجيع الطفل على إصدار هذا السلوك ، مع ذلك يكتسب الطفل سلوك الإيثار بدرجة أكبر إذا توفر لديه نموذج أمامه يؤدي هذا السلوك كذلك كشفت دراسات أخرى عن أن برامج ومسلسلات التلفزيون التي تحمل في مضمونها تدعيم السلوك الإيثاري وتقدم نماذج حية تساعد إلى حد كبير في زيادة معلومات الطفل عن هذا السلوك ، كما أنها تشجع الطفل على الممارسة الفعلية له) . (Whitehurst & Vasta , 1977 . كذلك كشفت بعض الدراسات الحديثة عن زيادة معدلات نمو وارتقاء سلوك الإيثار عبر العمر خاصة في مرحلتى الطفولة المتوسطة والمتأخرة . كذلك تشير هذه الدراسات إلى أن سلوك الإيثار يعتبر أحد المؤشرات التي تنبئ عن مدى توافق الفرد في الحياة فيما بعد . فالأفراد الذين يحصلون على درجات منخفضة على مقاييس سلوك الإيثار يكونون مرفوضين من أقرانهم ويكونون أكثر ميلا للسلوك العدواني

دور المؤسسات التربوية في تنشئة الطفل:

تحدثنا حتى الآن عن دور الأسرة باعتبارها الجماعة الأولية التي يتفاعل معها الطفل في سنواته الأولى ، حيث تضع له القواعد والضوابط التي تنظم سلوكه الاجتماعي مع الآخرين . مع ذلك هناك العديد من المؤسسات التربوية الأخرى في المجتمع والتي تلعب دورا هاما في تنشئة الطفل . من هذه المؤسسات مثلا رياض الأطفال ، المدرسة ، وسائل الإعلام .. إلخ . وفيما يلي نناقش الدور الذي تقوم به بعض هذه المؤسسات.

- 1 رياض الأطفال:

انتشرت رياض الأطفال في مصر والعالم العربي في الآونة الأخيرة نظرا لما طرأ على المجتمع العربي من تغيرات اقتصادية واجتماعية وثقافية أدت إلى خروج المرأة إلى العمل وتقلدها العديد من الوظائف مما صاحبه ضرورة إنشاء مراكز للرعاية الأولية للطفل أثناء غياب الأم في العمل. وعلى الرغم من اعتقادنا بأهمية هذه المراكز والحضانات في إكساب الطفل العديد من الخبرات والأنشطة التي تساعدهم على النمو السليم والتوافق مع البيئة ، مع ذلك أظهرت العديد من الآراء الأخرى حاجة الطفل الجسمية والنفسية للأم ، وأن

انفصال الطفل عن الأم خاصة في سنوات عمره المبكرة يؤثر على بنائه النفسي فيما بعد . نظرا لاختلاف الآراء حول الدور الذي تلعبه مراكز الرعاية الأولية ودور الحضانه في تنشئة الأطفال ، ظهرت العديد من البحوث الحديثة (Bee) 2000 , التي حاولت أن تقيم الآثار السلبية والإيجابية لهذه المؤسسات على نمو الطفل. ويمكن تلخيص نتائج هذه الدراسات فيما يلي:

- أن الحكم المطلق على أن مراكز رعاية الأطفال تلعب دورا إيجابيا أو سلبيا على الدوام فيه شيء من المغالاة. فعلى الرغم من حاجة الطفل إلى أن ينشأ مع أمه غير أن ذلك لا يلغى الدور الإيجابي والفعال الذي يمكن أن تلعبه رياض الأطفال في تنشئة الطفل وتنمية مواهبه ومداركه قبل دخول المدرسة.

- أن هناك تباينا في الدور الذي يمكن أن تقوم به هذه المراكز والحضانات ، وذلك حسب نوع الخدمات والأنشطة وعدد القائمين بالعمل داخل هذه المراكز . إن تنوع الخبرات الحسية والحركية والاجتماعية التي تقدمها هذه المراكز ، كما أن وجود نسبة لا بأس بها من القائمين برعاية الطفل والمتخصصين في نمو وتنشئة الطفل بما يتفق وعدد الأطفال داخل كل مركز ، يساعد إلى حد كبير في النمو السليم للطفل بحيث لا تختلف معدلات النمو عند هؤلاء الأطفال عن الأطفال الآخرين الذين ينشأون مع أسرهم.

- أن الوجود الفيزيقي للأم مع طفلها ليس هو العامل الحاسم في سرعة نمو الطفل بطريقة سليمة. إن أهمية وجود الأم مع الطفل تكمن في مدى وعي الأم بأهمية واستكشافه هي أم واعية بمسئولياتها التربوية تجاه أطفالها ، وهي الأم التي تؤثر بشكل دورها بالنسبة للطفل ، وما يجب أن تقوم نحوه من رعاية واهتمام بجميع مظاهر نموه اللغوي والعقلي والحركي .. إلخ . فالأم التي تتحدث مع طفلها الرضيع كثيرا والتي توجه انتباهه إلى الأشياء والمنبهات التي تقع حوله سواء بتقديم كتب مصورة للطفل ونسج حكاية له حول هذه القصة ، أو بتقديم بعض الألعاب التي تستثير فضوله إيجابي وفعال في تربية أطفالها تربية سليمة.

2-المدرسة :تعتبر المدرسة هي المؤسسة التربوية والاجتماعية الرسمية التي أنشأها المجتمع التربية والتعليم النشء من ناحية، ولنقل وتبسيط التراث الثقافي وتقديمه في نظام تدريجي من ناحية أخرى، ويأتي الطفل إلى المدرسة وهو مزود بالعديد من القيم والاتجاهات والمعايير التي اكتسبها من الأسرة . ثم يأتي إلى المدرسة لتتسع دائرة علاقاته الاجتماعية فيلتقى بجماعة الرفاق ويتفاعل مع معلميه فيزداد علما وثقافة وتنمو شخصيته . وترتبط التنشئة الاجتماعية في المدرسة بالشق غير الرسمي من العملية التعليمية حيث يرتبط النمو الاجتماعي للطفل في المدرسة بأثر خبرات التفاعل بين الطفل وبين أقرانه ومدرسيه . وفيما يلي نناقش دور كل من المدرسين والأقران في التنشئة الاجتماعية للطفل..

3-دور الأقران: تعرف جماعة الأقران أو الرفاق أو الصحبة بأنها جماعة من الأفراد لها بنية اجتماعية متميزة حيث تتسم بتقارب الأدوار الاجتماعية بين أفرادها ووضوح المعايير السلوكية فيها ووجود قيم مشتركة واتجاهات خاصة بها .ويرى بعض الباحثين أن جماعة الأقران تأتي في مرتبة ثانية بعد الوالدين من حيث

الأهمية، تمثل جماعة الأقران في المدرسة خبرة جديدة للطفل حيث تتيح له فرصة إعادة النظر في السلوك الذي أتى به من أسرته ليرى مدى ملاءمته للجماعة الجديدة الذي ينتهي إليها في المدرسة..

ويمكن تلخيص دور جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية في النقاط التالية:

-يساعد الانضمام إلى جماعة الأقران على تحقيق درجة عالية من النمو الاجتماعي للطفل من خلال ممارسته للأنشطة الاجتماعية في المدرسة وتكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية المتعددة الأدوار.

-تساعد في إكساب الطفل الاتجاهات والمكانة الاجتماعية المناسبة وما يرتبط بها من توقعات.

-تعتبر جماعة الرفاق الوسط الأمثل لتنمية الإحساس بالآخرين وعدم التمرکز حول الذات. كما تساعد على الالتزام بالحدود والقواعد المشتركة للجماعة.

-تساعد على تحقيق مستوى من الاستقلال الشخصي عن الوالدين وعن سائر ممثلي السلطة وإشباع حاجة الطفل إلى المكانة والانتماء.

وتشير البحوث الحديثة التي أجريت في مصر أن مدى تأثير الأقران سلبا أو إجابا على سلوكيات الفرد إنما يتوقف حسب نوعية هؤلاء الأقران، فالبحوث الميدانية التي أجريت على ظاهرة تعاطي المخدرات كشفت عن أن أهم العوامل الفعالة في إقدام المراهق على تعاطي المخدرات هو أن يكون له صديق يتعاطى المخدر، أو أن يجد من يشجعه في جماعة الأقران على الإقدام على هذه التجربة . مما يكشف عن بعض الآثار السلبية التي تتركها جماعة الأقران في انتشار ظاهرة التعاطي .

4-دور المدرسين يعتبر المدرس أحد الدعائم التي تقوم عليها العملية التعليمية والتربوية في المدرسة. كشفت الدراسات والبحوث النفسية والاجتماعية عن تعدد الأدوار التي يقوم بها المدرس في المدرسة ، فهناك الدور التقويبي للتحصيل الدراسي والأداء الأكاديمي للتلميذ داخل الفصل ، وهناك الدور التنظيمي لضبط سلوك التلاميذ داخل وخارج الفصل ، وهناك دور المدرس باعتباره قدوة للتلاميذ. وفيما يلي تناقش هذه الأدوار..

الدور التقويبي للمدرس إن الانطباع الأول الذي تمثله المدرسة في أذهان التلاميذ هي أن المدرسة مكان للامتحان والتقييم وليس مكانا للتحصيل والعلم. وتشير آخر التقديرات الإحصائية في الولايات المتحدة الأمريكية أن حوالي أكثر من ١٠ مليون طالب كل عام في مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي يواجهون مشكلات خاصة في مواقف الاختبار وأثناء أداء الامتحانات وتشير بعض الأدلة إلى أن التلاميذ الذين يتسمون بالقلق بدرجة أكبر في مواقف الامتحان يكون أدائهم على اختبارات التحصيل الدراسي أقل من زملائهم الذين يتسمون بدرجات منخفضة من القلق. وتشير بعض الدراسات إلى أن تغيير شكل الامتحان وتقليل الرهبة منه، ووضع التلاميذ في ظروف مناسبة لأداء الامتحان يكون له أثر إيجابي في تحسين أداء التلاميذ. كذلك تلعب توقعات المدرسين للتقدم الدراسي لتلاميذهم دورا هاما في مدى النجاح والتفوق الذي يحققه هؤلاء التلاميذ ، فعبر سلسلة من البحوث التي أجراها روزنتال وزملاؤه عن أثر توقعات المدرسين لنجاح وتفوق تلاميذهم كشفت هذه الدراسات عن أن التلاميذ الذين توقع معلموهم لهم التفوق

والازدهار حققوا بالفعل نتائج مبهرة وذلك مقارنة بالتلاميذ الآخرين ، ويمكن تفسير هذه النتائج في ضوء التدعيم والتشجيع الذي يلقاه التلميذ من أستاذه . فالتلاميذ الذين يتوقع لهم التفوق غالبا ما يتسمون بالدافعية العالية والاستيعاب الجيد وسرعة الإنجاز .